أحمد عبد الغفور عطار

دفاع عن الفصحى

مكة المكرمة
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

دفاع عن الفصحى

أحمد عبد الغفور عطّار

دفاع عن الفصحى

مكة المكرمة
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

الطبعة الاولى

١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

طلب إلي الاستاذ علي حسين شبكشي المدير العام لمؤسسة « عكاظ » للصحافة والنشر أن أجيبه على أسئلة خمسة بعث بها إلي ، وكلها وقف على اللغة .

ويظهر من الأسئلة أن غيرته على الفصحى وتوجسه الخيفة عليها من شيوع العامية على أقلام الكتاب وألسنة المتحدثين في الإذاعة والتلفزيون دفعاه إلى أن يسأل أسئلة رجاء أن يقف زحف العامية على الفصحى : لغة القرآن التي أصبحت مهددة من العامية .

ورأيت أن يكون اهتمامي بالأجوبة كفاء اهتمام الأستاذ

علي شبكتي بالأسئلة ، وخرجت في الأجوبة عن الأسلوب الصحفي ، وجعلتها أجوبة علمية استوعبت فيها ما يجب أن أقوله حتى طالت .

وكان بوسعي أن أوجز القول ، ولكني تركت الإيجاز هنا لأنه يكون مخلاً بما أردت أن أوفيه ، فكان هذا الشرح المبني على الدراسة والبحث .

وخصوم الفصحى اتخذوا لحربها أساليب وطرقاً ، وكان في أحد منها غناء لهدمها لو قصروا عليه حربهم إياها .

ومن هذه الأساليب : الدعوة إلى العامية تحل محلها ، فتكون — حسب ما دعوا إليه — احلال العامية محل الفصحى ، فتكون العامية لغة الكتابة والعلم .

وعندما يكون للعامية هذا الشأن الخطير تكون الفصحى في معزل عن الحياة ، وبذلك يكون بين تراث الاسلام كله والقرآن والحديث وبين العرب والمسلمين سد منيع .

وأدركوا أن أصحاب الفصحى والعامة أيضاً لن يرضوا بما دعا إليه هؤلاء الخصوم فاحتالوا لتنفيذ ما خططوا له فدعوا إلى إلغاء الإعراب الذي لا يقيمه العلماء أنفسهم إلا نَدْرة نادرة منهم .

وإلغاء الإعراب من الفصحى كارثة تصيبها في أسسها المتينة الراسخة فتزعزع بنيانها المكين ، وذلك يودي بها إلى

التداعي فالانهيار ، وهذا ما قصدوه من دعوتهم هذه .

وتعجل بعض خصوم الفصحى العمل على تقويضها ، ولم يسعهم أن ينتظروا الزمن الطويل الذي يتطلبه تقويضها إذا نجحت دعوتهم إلى إلغاء الإعراب واتخاذ العامية بدل الفصحى فدعوا إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

وأدركوا أن في نجاح هذه الدعوة اللئيمة الخبيثة عزلاً تاماً للقرآن والحديث وكل التراث الاسلامي العظيم عن العرب والمسلمين ، ومتى تم هذا العزل حقق الخصوم أمنيتهم في هدم الفصحى .

وماذا يبقى لأمة العروبة والاسلام إذا قضي على الكتاب والسنة وكل التراث الخالد ؟ إنهم سيفقدون أصالتهم وشخصيتهم وحضارتهم وكل مقوماتهم ، وحينئذ يسهل على خصوم الاسلام أن يلعبوا بالعرب والمسلمين ، ويجعلوا منهم قطعاناً يسيطرون عليها .

ومع ما في هذه الدعوة من هدم لا يترك للفصحى من أثر في عالم الواقع فإن بعضهم لم يستطع الإنتظار حتى تؤتيهم الدعوة أكلها فدعوا إلى احلال لغة أجنبية محل الفصحى والعامية حتى لا يكون للعرب والمسلمين أي ارتباط وثيق بلغتهم وعروبتهم ودينهم وحضارتهم وتراثهم .

وبالرغم من ذكاء خصوم الاسلام والفصحى فإن دعواتهم إلى إلغاء الاعراب وإحلال العامية محل الفصحى واتخاذ الحرف اللاتيني بدل الحرف العربي واستبدال لغة أجنبية بالفصحى والعامية تدل على سذاجة هؤلاء الخصوم الأذكياء ، لأنهم جهلوا أن الاسلام هو الذي أوجد مجتمعه ، وحمى لغته ، وبنى وجودهما على أسس لا يمكن الوصول إليها لتقويضها .

فكل دعواتهم هذه لم تعطهم النتائج التي وضعوا المقدمات التي تفضي إليها ، لأن المقدمات نفسها انطوت قبل أن تخطو بأصحابها ، فلم تكن لها نتائج .

ومما أدهش هؤلاء الخصوم أن العامة الذين أرادوا للغتهم أن تسود كانوا أول من حاربوا الدعاة إليها حتى أن قطباً شريراً عنيداً من أقطابهم — هو سلامة موسى — شكا من موقف هؤلاء العامة من أحمد لطفي السيد أحد دعاة العامية الكبار .

وفي أحد أجوبتنا ذكر شكوى سلامة موسى وموقف أحمد لطفي السيد .

ومع أن الحكم كان لخصوم الاسلام والفصحى ، وكان لهؤلاء الدعاة سلطان فإن دعواتهم حوربت من العامة قبل حماة الفصحى ، لأن العامة مدركون أن عقيدتهم الدينية

قائمة على القرآن،وهم لن يرضوا بأي دعوة تتعرض لكتاب الله سواء كان التعرض للغته أم لأي حكم من أحكامه ، بل يحاربون كل هذه الدعوات .

ومنذ أكثر من أربعين عاماً وأنا أحارب هذه الدعوات اللئيمة الهدامة ، وصدرت لي كتب في هذا الميدان ، وكتبت مئات المقالات في محاربة هذه الدعوات ، وفضح مخططات أعداء الاسلام والفصحى ، وكشف مؤامراتهم ، وما زلت – كلما تقدم بي العمر – أزداد قوة وإيماناً في صلاح الفصحى ، ووفائها بحاجات هذا العصر وكل عصر ، لأنها لغة الخلود ولغة الحياة .

ومحاربتي لهذه الدعوات تصدر عن إيماني بأن الفصحى خير لغة على الإطلاق ، لأنها لغة القرآن ولغة الحياة والخلد .

ولن تكون العامية بديلا عن الفصحى ، ولن تكون العامية لغة الأدب والعلم والكتابة ولو شاعت شيوعاً .

وليست العامية اللغة « الدارجة » التي يتخذها العامة وحسب ، بل العامية تطلق على كل كتابة غالطة ملحونة ، لأنها ابتعدت عن الفصحى بجهل قوانينها .

ولهذا أرى الغالب مما ينشر في الصحف العربية ومنها السعودية ويذاع به من العامي الذي تمقته الفصحى .

وما كانت الدعوة إلى العامية ناجحة ، لأن العرب

والمسلمين ما كانوا يتقبلون دعوات الاستعمار ، لأنهم موقنون أنه عدوهم الأوحد ،فهم يحاربون كل دعوة تنطلق من محاربتهم إياه .

ومنذ ربع قرن دخلت الشيوعية عالمنا العربي والاسلامي دخول الصديق والمنقذ أو المساعد على انقاذه من الاستعمار والصهيونية عدو العرب والمسلمين .

وما كانت الشيوعية بقادرة على خـَدْع شعوب الأمة العربية والاسلامية لولا قيام بعض زعمائهم من الشيوعيين الذين أدخلوا الشيوعية إلى أقطار العربية والإسلام ، وزعموا أنها الصديق جاءت لتنقذنا من الاستعمار الغربي والصهيونية، فاستقبل من بيدهم القيادة في الحكم والصحافة والرأي ووسائل الإعلام الشيوعية استقبال الصديق ، وروّجوا لها، وأشاعوا عنها المديح صاغوه لها حتّى اختدعت بها شعوب ؛ ولم يفطن كثير من المثقفين وأساتذة الجامعات والقضاة والمستشارين لحقيقة الشيوعية إلا بأخـَرة .

وكان لنا ــ والحمد لله ــ نصيب في تبصير العرب والمسلمين بخطر الشيوعية على العرب والمسلمين ودينهم ولغتهم مع غيرنا .

والشيوعية ليست صديقاً للعرب ولا للمسلمين ، بل هي أعدى أعدائهم في الدين والقومية والوطنية واللغة والأخلاق وفي كل شيء .

وليست الشيوعية خصماً للصهيونية كما زعم بعض حكام العرب والمسلمين الذين رددوا دعوى الشيوعيين الذين تظاهروا بعداء الصهيونية ليكسبوا العرب حتى يحيلوهم إلى شيوعيين ، أو يسيطروا على أقطارهم .

وفطن الملك الشهيد فيصل رحمه الله لهذه الخدعة فتصدى لها ، يكشف حقيقتها للعرب والمسلمين وللعالم أجمع. فأطلق إنذاره المدوّي في كل رجأ من أرجاء الأرض قائلاً : « إن الشيوعية وليدة الصهيونية ، وما يتظاهر به كل منهما ليس إلا خداعاً وتضليلاً ، وكلتاهما قوة واحدة شريرة ، ويجب ألا ينخدع أحد بما تدعي كل منهما عداء الأخرى ، فما بين الأم وابنتها خصام أبداً ، بل الاتفاق تام، وليس بصحيح أن الشيوعية والصهيونية خصمان ، بل هما قوة واحدة تتجه إلى غاية واحدة هو هدم الدين والخلق ، وتخريب المعتقدات والأخلاق والمبادىء ، والسيطرة على العالم ، وكلتاهما أعدى أعداء العرب والمسلمين » .

نعم ، فطن الملك الشهيد فيصل لكل هذا قبل أي حاكم في هذا العصر ، ولم يترك مناسبة إلا والى الانذار ، وفطن إلى ما لم يفطن إليه غيره من الحكام والمفكرين إلا قلة من هؤلاء المفكرين .

قال الملك فيصل : « ما من مذهب هدام سواء أكان في الدين أم في الفلسفة أم في الاجتماع أم في الآداب والعلوم

والفنون والفلسفات المختلفة أم في السلوك الانساني الفردي والجماعي إلا وهو وليد اليهودية اللئيمة، فهي منذ وجودها تعمل لهدم القيم الانسانية الرفيعة » .

ويقول الملك فيصل رحمه الله : « انتهت الصهيونية العالمية إلى اختراع مذاهب هدم جديدة ، فاخترعت الشيوعية لهدم اقتصاد العالم وسياسته ومعتقده ، والماسونية لهدم سلوك الانسان ودينه وسلوكه الاجتماعي والمجتمع الانساني ، كما اتخذوا لإفساد الأذواق والمشاعر بإفساد الآداب والعلوم والفنون والفلسفات والتربية والتعليم والإجتماع أساليب غاية في البشاعة واللؤم والمكر لهدم كل القيم الإنسانية والمبادىء الكريمة » .

وكل هذا حق مصداقه الواقع الذي لا يغالب ، فعندما دخلت الشيوعية عالمنا العربي دخلته بكل مبادئها الشريرة ، فأفسدت الأذواق والمشاعر والآداب والعلوم والفنون .

وطبيعي أن تعمل على إفساد لغة آدابنا وعلومنا وفنوننا، وبذلك اتفقت قوى الاستعمار والصهيونية والشيوعية لهدم الفصحى ، ونجح أسلوب واحد من أساليبها الجهنمية ، وهو أسلوب شيوع العامية على الألسنة والأقلام بدعاوى كثيرة . منها : دعوى صعوبة اللغة العربية التي روجها ورددها بعض كتّاب الفصحى، مع أنها ليست أصعب من العلوم الأخرى،

بل هي أسهل منها ، ولكنهم أذاعوا بين الناس هذه الصعوبة التي ادعوها .

وصدق الناس هذه الزعمة الشائنة التي يراد منها هدم الفصحى لغة الكتاب والسنة والتراث كله .

أترى اللغة العربية أصعب من الفيزياء والهندسة والرياضيات والطب ؟

وجوابنا أن العربية ليست أصعب من هذه العلوم ، بل نقول في ثقة واطمئنان : إن العربية سهلة ، وقواعدها أسهل من قواعد أي لغة أخرى ، فالإعراب سهل وواضح ، وقواعده محدودة ، فأواخر الكلمات في الاسم له حالات ثلاث ، هن : الرفع وله مظاهر ستة ، والنصب وله أحد عشر مظهراً والجر وله مظهران .

وليست معرفة هذه المظاهر صعبة ، لأننا عرفناها ونحن أطفال ندرس النحو في المرحلة الابتدائية .

وليس معنى هذا أننا ننفي الصعوبة عن تعلم العربية ، فما من علم إلا وفيه شيء من الصعوبة التي لا تحول دون التعلم والتفقه .

وإذا كانت صعوبة العربية تفرض تركها فإن من هذا الفرض ترك كل العلوم لصعوبتها ، وما يقول هذا عاقل !

ولا يمكن أن تكون الآفة حجة على الاصحاء ، ففي الأرض عشرات الملايين من الأطفال والمعودين وذوي الآفات لا يستطيعون أكل اللحم ،أفنلغيه ونحرم على الأصحاء استعماله ؟

كلا ، طبعاً .

واللغة أيضاً ، لا نلغيها هي وقواعدها ، لأن أغلب الناس لا يحسنون الفصحى وفقه قواعدها ، فنحرمها على القادرين .

واقترن بدخول الشيوعية عالمنا العربي الدعوات إلى الأدب الشعبي ، وإلى نبذ الأدب « الملوكي » والأدب الارستقراطي ، والكتابة بلغة الشعب ، لأن الشيوعية تدعي أنها حكومة الكادحين ، ويجب أن تكون لغتهم العامية هي السائدة ، لا لغة الارستقراطيين الفصحى .

وهي مغالطة من الشيوعية والشيوعيين ، فما بين من تسميهم الشيوعية إقطاعيين ورأسماليين وارستقراطيين من يكتبون بالفصحى ، فهم عامة من العامة .

وكتاب الفصحى كالعقاد وطه حسين وهيكل والمازني والرافعي والزيات والحكيم وشلتوت والمراغي وعبد الحليم محمود وغيرهم من أدباء مصر وكتابها . وشفيق جبري ، ومحمد كرد علي ، وحسني سبح ، وعدنان الخطيب ، من

كتّاب الشام . والرصافي والزهاوي والشبيبي وغيرهم من كتّاب العراق . وعبد القدوس الانصاري ، وأمين مدني ، وعبيد مدني وعبد الوهاب آشي ، وحسين عرب ، وعلي حافظ ، وعثمان حافظ ، وحمد الجاسر ، وعبد الرحمن المعمر ، وكاتب هذه السطور ومحمد كامل خجا وغيرهم من كتّاب المملكة السعودية . ومثلهم كتّاب سائر الأقطار العربيه ليسوا من الاقطاعيين ولا الرأسماليين ولا الارستقراطيين ، بل هم جميعاً من الكادحين .

فدعوى الشيوعية مدحوضة من أساسها ، لأن كتّاب الفصحى جميعاً ليسوا بأرستقراطيين ، بل هم جميعاً من الكادحين .

فاللغة الفصحى ليست لغة الارستقراطيين ، وإنما هي لغة الكادحين أمثالنا ، ولكن الشيوعية تريد هدم الفصحى بتلك الدعوى الباطلة التي لا تتفق مع الحق .

ومنذ أن غشيت الشيوعية أرض العرب دخل الفساد ثقافتهم وآدابهم وعلومهم وفنونهم ولغتهم ، وكان للحكام الشيوعيين اليساريين اليد القوية في هذا الفساد الشامل ، وكان نصيب الفصحى من هذا الفساد أكبر ، وصار من هب ودب من الساقطين أدباء كباراً وشعراء عظاماً وقصاصين عباقرة ، وما هم لولا اضطراب الموازين إلا حثالة حقيرة مزدراة .

وهبطت الفصحى على ألسنة هؤلاء وأقلامهم ، وانقلبت

إلى عامية غشيت كل وسائل الاعلام في عالمنا العربي وبخاصة الصحف التي سيطروا عليها ، وشهد بعضهم لبعض بالعبقرية وظنوا أنهم هم العباقرة ومن سواهم لا يفهمون شيئاً ، وباهوا بسوءاتهم التي كشفوها ، وأخذوا على أهل الرفعة والبيان رفعتهم وسموهم .

وصحافتنا – إلا بعض الصحف – تكتب بالعامية ، وهي حرب على الفصحى ، وما أكثر هؤلاء الكاتبين الذين يجهلون الفصحى فيباهون بسوءاتهم ، ويتهم المجرمون الصالحين .

ولعل الاستاذ علي شبكشي المدير العام لمؤسسة عكاظ الصحفية قد أدرك خطر العامية الفاشية ومحاربة الفصحى في موطنها الأصيل فألقى عليّ أسئلته رجاء أن يكون فيما نجيب به ما يعيد إلى الفصحى سيادتها وكرامتها ، ويقف انتشار العامية ، ويبعدها عن وسائل أعلامنا .

ولما كان الاستاذ علي شبكشي سبب كتابة هذه الأجوبة ، فأنا أهدي إليه هذه الرسالة ، وهو جدير بها ، لأنه غيور على الفصحى ، لغة كتاب الله العزيز ، وحديث نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ولغة كل تراثنا العظيم .

أحمد عبد الغفور عطار
مكة المكرمة

الأربعاء : ١٤ صفر ١٣٩٧ هـ
٢ فبراير – شباط ١٩٧٧ م

السؤال الأوّل

اللغة العربية هي الخامة الأدبية التي يشكل منها الأديب صوره الفكرية والفنية ، ومن الملاحظ أن أدباء الرعيل المتأخر لا يولون اللغة اهتمام الرعيل السابق هنا في المملكة وفي البلاد العربية .

هل يعني أن الخامة التي هي اللغة فقدت مقوماتها تحت تأثير غزو القوالب الجديدة للتشكيل الأدبي وتزاحم الأساليب الأدبية الحديثة ؟



الجَوابُ

أنا أجاريك في استعمال كلمة « خامة » التي اصطلح عليها أهل هذا العصر الذين يطلقون الخام على كل مادة من مواد الصناعة قبل أن تدخل فيها .

والمهرة في الصناعة هم الذين يستعملون في صناعاتهم هذه المواد ، ويؤلفون بينهـا حتى يخرج من هذا التأليف الصناعة الجميلة .

وهذه المواد موجودة يستعملها المهرة وغير المهرة ، ونرى الفرق كبيراً في استعمال الفريقين .

فالبدائي يصنع الملعقة والسكين والقدر ، ويصنعها غيره من الماهرين فاذا ما يصنعه المهرة يدل على ذوق سليم وفن رائع .

وكلنا نعرف أن الخبز ضرورة للانسان ، صنعه الإنسان

البدائي ، ولكن إنسان العصر الحديث طوره وجعله فناً ، فلم يعد الخبز عجينة مخبوزة على أي شكل لا فن فيه .

أما إنسان العصر الحديث فقد جعله في صور فنية رائعة ، منها ما يشبه الهلال ، ومنها ما يشبه البدر ، ومنها ما يشبه الطوق الذهبي أو الفضي ، ومنها ما يشبه نصف الكرة ، ومنها ما يشبه الصاروخ إلى غير ذلك من الأشكال الجميلة .

خبز الانسان البدائي لا فن فيه ، ولكنه يشبع الجائع ، وخبز الانسان الحديث متفق مع خبز الانسان البدائي في الضرورة ، ولكن خبز الانسان الحديث يرجح على خبز البدائي ، لأنه خرج بالضرورة إلى الكمال .

وهذه السمة ميزت المتحضر القادر على غيره .

كذلك اللغة ، يتفاهم بها الغبي والذكي ،والعالم والجاهل ولكن الصناعة الفنية في تأليف الكلمات مختلفة ، فكلما كان الإنسان حافظاً لمفردات اللغة ، وماهراً في صناعة تأليف الكلمات ظهرت عبقريته .

وهناك أناس يحفظون عشرات الآلاف من الكلمات الفصيحة ، ولكن قدرتهم على التأليف محدودة ، فهم يعطونك كلاماً تتآلف كلماته ، ويستطيعون أن يعبروا بهذا الكلام عما يريدون التعبير عنه ، وتفهم ما يقصدون منه .

وآخرون يحفظون بضعة آلاف من الكلمات ، ولديهم

قدرة قادرة على التأليف الفني ، فاذا ما يعطونك كلام جميل رائع يجعلك تنفعل له انفعالك وأنت تشهد منظراً رائعاً ، أو تشهد صورة رائعة من صور التعبير الجميل .

وتجد أناساً يجمعون بين مزايا الفريقين ، يحفظون من مفردات اللغة عشرات الآلاف ، ولديهم الحاسة الفنية ، والمهارة في الصناعة بحيث يخرجون لك من مجموع الألفاظ قصيدة رائعة ، أو مقالة فنية خالبة .

فالفارق ليس وقفاً على المهارة في الصنعة وحدها ، ولا في تلوين ما ألف بدهان الفن وحسب ، بل الفارق كل هذا وغيره ، فالفنان الأصيل يلون الكلمات وينفخ فيها من روحه لتتحول من المعجم بعد استعمالها من قبله قطعة فنية رائعة تنبض بالحركة والحياة .

وهذا التلوين هو فارق الأسلوب في فن القول .

وملاحظتك الفارق بين الرعيل الأول ومن جاءوا بعدهم في اللغة ملاحظة صحيحة ومعروفة .

فأدباء الرعيل الأول ذوو ثقافة عربية عالية،ومعرفة ثاقبة بلغة العرب ، وذوو أساليب رائعة ومحكمة ، والسبب أنهم حفظوا القرآن كله ، وبعضهم استظهروه وما يزالون مستظهريه ، وقرأوا الأحاديث واستظهروا متأنها كما

استظهروا من الشعر والأمثال ما لا يحصى من شواهدهما ، وقرأوا الأدب القديم .

وهذه العشرة الطويلة لكتاب الله تبارك وتعالى وأحاديث الرسول العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم جعلت أساليب أدباء الرعيل الأول محكمة النسج مع الاشراق والجمال .

إن هذه العشرة الطويلة الدائمة أثرت في أفكارهم وعواطفهم ولغتهم وأساليبهم ، واستعملوا بمهارة عظيمة كلمات القرآن وألفاظ الحديث في كتاباتهم شعراً ونثراً .

وهذه العشرة جعلت هندسة البناء في نتاجهم الفكري والأدبي هندسة اجتمع لها الإحكام والسلامة والمتانة والجمال.

وأدباء الرعيل الأول أدركوا حقيقة اللغة ومهامها ، فحفظوا آلاف الكلمات واستخدموها استخداماً رائعاً ظهر فيه أثر عشرة القرآن الكريم والحديث الشريف والأدب القديم .

إنهم فهموا اللغة ومهمتها ، فهموا أن اللغة هي الفكر والعاطفة ، وأدركوا أن « كل كلمة من هذه الكلمات المجموعة إنما هي لحم الوطن والبشر ودمهما وروحهما » كما قال أناتول فرانس .

وفهموا مزايا العربية في تركيب الكلمة المفردة ، وتركيب حروفها ، وتركيب الجملة ، وتركيب الجمل

وتآلفها ، وأدركوا موسيقى الكلمة وهي مفردة ،وموسيقاها في الجملة ، وموسيقى الجمل عندما تتآلف ، ووقفوا على أسرار التركيب والتآلف والربط وما ينبعث من هذا التساوق من نغم منزه عن النشاز والنفور .

وفهموا أسرار اللغة وفُصَحَتَها ونوادرها ، وميزوا معاني الكلمة الواحدة ذات الدلالات المختلفة ، وميزوا معاني الاضداد ، وعرفوا موازين كل كلمة ، وعرفوا معنى الكلمة في الحقيقة ومعناها في المجاز .

وبرعوا في علوم اللغة متنها وصرفها ونحوها ومشتقاتها، وأوزان الشعر وبحوره وأعاريضه وضروبه .

فأدباء الرعيل الأول أئمة — حقاً — في اللغة ، وبحار زاخرة في العلم والمعرفة والثقافة ، وما قصروا اطلاعهم على الأدب القديم وحسب ، بل اطلعوا على الأدب الحديث ، وما زالوا يتابعون نتاجه ، ويطلعون على كل جديد فيه .

أما ملاحظتك القائمة على « أن أدباء الرعيل المتأخر لا يولون اللغة اهتمام الرعيل السابق » فصحيحة ، وهذا الرعيل المتأخر لا يولي اللغة أي اهتمام ، فكلهم لا يحسنون العربية إلا النادر منهم ، فهم لا يفهمون معاني الكلمات التي يستعملونها ، ولا ذوق لديهم في الاستعمال ، ولا بصر عندهم بالمعنى الأصيل للكلمة ، فيستعملون الكلم في غير

مواضعه ، ويحرفونه ، ويستعملون بعضها مكان بعض ، ولا رابط بين الجمل ، وأساليبهم غاية في الركاكة ، ونسجهم مهلهل ، وهندسة بنائهم مختلة .

وهذه العيوب ليست وقفاً على بلادنا ، بل هي عيوب البلدان الأخرى أيضاً .

وسؤالك : هل يعني أن « الخامة » التي تتألف منها اللغة فقدت مقوماتها تحت تأثير غزو القوالب الجديدة الخ. فأقول : إن اللغة بين أيديهم ، ولكنهم يستعملون موادها استعمال البدائي مواد صناعة الخبز .

وهم فقراء في اللغة ، ولم يطلعوا على الأدب القديم الاطلاع الذي ينمي الملكة ويربي الذوق ، وأكثرهم لم يطلعوا عليه ، وكلهم لم يعاشروا القرآن معاشرة تؤثر في لغتهم وأساليبهم وأذواقهم . وندر منهم من قرأ القرآن كله ، واكتسب منه محصولاً لغوياً ووقف على أسرار البلاغة والبيان فيه .

أما الحديث الشريف فلم يقرأوا منه إلا اليسير قراءة فاقدة الأثر .

إنك تعلم أن الطفل يكتسب لغته بالسماع والتلقي والمحاكاة ، فإذا كبر أضاف الاطلاع والحفظ حتى يختزن في ذاكرته آلاف المفردات إذا سلك طريق العلم .

وأقرأ لمن سميتهم الرعيل المتأخر فلا أجد لديهم من المفردات إلا القليل ، ولا يحسنون استعمالها ولا التصرف فيها ، وتدل كتاباتهم على جهل بالعربية وأصولها وقواعدها.

وعزوُك تخلفهم إلى « غزو القوالب الجديدة للتشكيل الأدبي ، وتزاحم الأساليب الحديثة » في صيغة الاستفهام لا يخلو من الحق ، فهم تأثروا بكتّاب أمثالهم في عالمنا العربي جعلوهم القدوة فكانوا مثلهم في العربية لا يحسنونها .

وهم جميعاً نقلوا من التعبيرات ما لا يتفق مع لغتنا ومع ديننا ، أولئك الكتاب في العالم العربي – بعضهم – يعرفون بعض اللغات فترجموا بعض التعبيرات وفرحوا بها ،وتناقلها بعضهم عن بعض فوصلت إلى ناشئة بلادنا ، فاختطفها كتّاب منهم ظنوها تجديداً وفناً ، وطاروا بها فرحاً واستعملوها ، وهي غالطة .

بعد ظهر الأربعاء الثاني والعشرين من المحرم الذي نحن فيه سمعت تمثيلية بالإذاعة السعودية عنوانها « قلعة الأحزان » وبعد انتهائها كان أحد المحدثين يعلق عليها تعليقاً حسناً ، وسبق لسانه بقوله : « ويؤدي الله دوره » وهذا تعبير سمج مردود ، ولا يجوز أن ينسب إلى الله جل جلاله أداء الأدوار ، فالناس والممثلون يؤدون الأدوار ، أما الله سبحانه وتعالى فهو الخلاق العظيم يقضي قضاءه ويحكم ما يريد .

ومن التعبيرات التي شاع استعمالها قولهم : « ولعب الاسلام دوره في إصلاح المجتمع » .

ومعاذ الله أن نقبل نسبة اللعب إلى دين الحق ، فما ورد في العربية اللعب بمعنى شريف أو مقدس .

ولكن من ترجمها من بعض كتاب مصر أو غيرها ترجمها بدون نظر ، لأن مادة « لعب » في اللغة المنقول عنها تشمل معاني معدودات ، منها : الحركة ، لأن اللاعب حركة ، أما معنى اللعب في العربية فلا يأتي لمعنى شريف أو مقدس كما قلنا .

والعبارتان تدلان على غاية في فساد الذوق وسوء التعبير . ويمكن أن يقال : وقضى الله ، وأراد الله، بدل : وأدى الله دوره .

وأما العبارة الثانية « ولعب الاسلام دوره في إصلاح المجتمع » فيمكن أن يقال : ونجح الاسلام في إصلاح المجتمع ، أو : وعمل الاسلام على إصلاح المجتمع .

ومن هذا النوع كثير من القوالب التي تقبح في لغة العرب ، وإن كانت لا تقبح في اللغات المنقول عنها .

وفي سؤالك اندست من هذه التعبيرات كلمة «التشكيل» الأدبي ، ويكثر ورود التشكيل وفعله : شكّل (بتضعيف الكاف) وتشكل (بصيغة الماضي) وتشكل (بصيغة

المضارع) وهي من المترجمات التي أخطأ المترجمون التوفيق فيها ، مع أن في العربية ما يغني عنها ، ويمكن أن يقال في سياقك : الأداء الأدبي ، أو الصورة الأدبية أو ما أشبه هذا بدل التشكيل الأدبي .

أما « تزاحم الاساليب الأدبية الحديثة »فأحب أن تعلم أن أساليب من نقرأ لهم في صحفنا من هؤلاء الكتاب فهي تقليد لأساليب كتاب مصر وسوريا من هؤلاء الذين يعتقدون أنهم أتوا بأساليب حديثة .

إن أساليبهم هذه تليق بهم ، ولا فرق بين كثير منها، وتتشابه حتى إذا وضعت اسماً مكان آخر لنسب إليه .

ومن هنا نفتقد الشخصية في نتاجهم ، فهذا مثل ذلك ، إنه كالعملة ، هذا الريال مثل غيره ، فمن كان في جيبه فهو مالكه .

وأوافقك على أن هناك تزاحماً أدى إلى اختفاء أصحاب الأساليب القوية المحكمة ، وطبيعي أن تختفي ، ففي الكرة إذا كان في ميدانها فريق الدرجة الثانية فإن فريق الدرجة الأولى لا ينزل إليه ليباريه ، فكيف إذا كان في الميدان فريق مبتدىء ؟ إن فريق الدرجة الأولى سيختفي .

وكذلك الأمر في الأدب ، فلا تستغرب إذا رأيت الصحف عندنا خالية من أدباء الدرجة الأولى ، لأنه لايحسن

بهم أن ينزلوا عن درجتهم الرفيعة .

وإذا كانت الصحف الرفيعة تنشر لكتاب أقل مرتبة من أدباء الدرجة العالية مع هؤلاء فليس معناه أنهم سواء ، ولا يدفع الغرور كتّاب الدرجات الأقل من كتّاب الدرجة الأولى فيحسبون أنهم قد ساووا السابقين .

إنهم يعرفون مكانة السابقين ، ويسعدهم أن يجتمعوا بهم على صعيد واحد دون أن يأخذهم الغرور فيحسبوا أنفسهم قد ساووهم .

وهذا جائز ، فما ثم ما يمنع لاعبين من الدرجة الأولى أن ينزلوا إلى الميدان مع لاعبين من الدرجة الرابعة إذا أريد من نزولهم تعليم هؤلاء وتدريبهم .

ومعروف أن محمد علي بطل العالم في الملاكمة ، وما يقابله في الحلبة إلا من كان في مرتبته ، فلما زار مصر ذات مرة ، رضي أن ينزل إلى الحلبة مع ملاكمين مصريين بينهم وبين محمد علي درجات .

وبدأت المباراة ، يريد أن يعلمهم ، فما كان يصيب أحدهم إلا إصابات خفيفة غير موجعة ، فأخذ الغرور أحدهم وظن أنه يستطيع أن ينتصر على محمد علي ، فضربه المصري بعنف يظن أن ضربته ستكون قاضية ، ولم يغب عن محمد علي غرور الملاكم المصري ، وقال له : أمرنك وتظهر

بي العجز وبنفسك القدرة ، خذ . ولكمه لكمة سقط منها على الحلبة يتدحرج ، وأدرك أنه لا شيء بين يدي محمد علي!

وأقرأ في جرائدنا – بعضها – ثناء هؤلاء الذين لا يحسنون الكتابة ولا العربية ، ثناء بعضهم على بعضهم ، ويخلع بعضهم على بعض ألقاباً رفيعة ، حتّى ينتقلوا جميعاً إلى منطقة الوهم فيحسبون أنفسهم عباقرة الدنيا .

ويذكرني هؤلاء ببائعي اللبن الغشاشين ، كانوا عشرين ، وجاء إلى سوقهم لبّان صادق لا يغش ، فشهد العشرون أن هذا الصادق غشاش ، فاختفى من سوقهم ، لأن الحكم والسوق كانا للغشاشين .



السؤال الثاني

بصفتكم واحداً من أكبر اللغويين العرب في هذا العصر تدركون أن اللغة – أي لغة – لا تستطيع البقاء إلا إذا خضعت للمتغيرات الزمنية ، فما نصيب اللغة العربية كلغة عريقة من هذه المتغيرات الزمنية ؟

الجوابُ

اللغة العربية ككل لغة حية، خضعت لما سميته «المتغيرات الزمنية» ولم تضق في ماضيها وعصور ازدهارها بكل جديد صالح تثري به .

فالعربية في العصر الجاهلي استقبلت الجديد ولم تضق به، بل رحبت به أعظم ترحيب ، وفيها من « المعرب » آلاف، والمعرب : اللفظ الدخيل على العربية بحروفها أو بأكثرها، مثال ذلك من الكلمات المعاصرة لفظة « راديو » فإذا أخذناها بحروفها من اللغة التي ابتكرت الاسم كان اللفظ معرباً ، وإذا جعلنا لها من العربية كلمة عربية فتلك هي الترجمة ، وقد ترجمها بعضهم بكلمة « مذياع » وهذا هو الفرق بين الترجمة والتعريب .

والعرب عرفوا التعريب منذ العصر الجاهلي وفي جميع العصور ، وعرفوا الترجمة أيضاً .

والشعر الجاهلي مصداق ذلك ، والقرآن أعظم شاهد ، ففيه من المعربات كثير .

فمن المعرب في كتاب الله تبارك وتعالى : هيت ، ويمّ ، وفوم . وزنجبيل ، وأباريق ، وتنور ، وأسفار ، ومرقوم ، وقسورة ، وإستبرق ، وراعنا ، وغيرها .

وفي القرآن الكريم أسماء الاعلام غير العربية ، مثل : إبراهيم ، واسماعيل ، واسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وموسى ، وعيسى ، وداود ، وسليمان ، وفرعون ، وهامان ، وقارون .

وفي القرآن من أسماء الكتب المعربة : التوراة ، والإنجيل ، والزبور .

فالقرآن الكريم لم يضق بالمعرب . لأن أكثر ما جاء فيه كان قد استعمله العرب حتى عد عربياً ، واستعمله القرآن .

وتوسع بعض العلماء حتى ذكروا كلمات كثيرة زعموا تعريبها ، مثل : قلم ، وصراط ، وهذا ما لانوافقهم عليه.

وفي القرآن — كما ذكر العلماء المسلمون — كلمات من لغات مختلفة ، مثل : الهندية ، والفارسية ، والسريانية ، والعبرية ، والحبشية ، والقبطية ، واليونانية ، وغيرها .

وذكر بعض الباحثين مثل الأب أنستاس ماري الكرملي

وحسن سالم [1] أن في القرآن كلمات من اللاتينية .

فاذا رحبت العربيـة بالألفاظ الأجنبية واتخذتها من موادها بعد أن أخضعتها لقوانينها وصبغتها بصبغتها ، واستعملها العرب الأقحاح وعدوها من صميم لغتهم ، وأيدهم القرآن الكريم باستعمالها فذلك برهان على سماحة العربية ومرونتها وقوتها ، فلا تخشى على نفسها من دخيل هي في حاجة إليه ، بل تستقبله وترحب به وتنفخ فيه من روحها ليكون عربياً .

وإذا كان العرب قبل الإسلام لم يضيقوا بما يفد إلى لغتهم من الكلمات الأجنبية فان الاسلام نفسه لم يضق أيضاً . فكما مرّ حوى القرآن الكريم حجة العربية من الألفاظ الأجنبية التي كان أكثرها مما عربته العربية ، وبعضه مما لم تعربه ، مثل « سدرة المنتهى » على قول الباحث المصري الاستاذ حسن سالم .

وجدد الاسلام في اللغة تجديداً لم تعهده من قبل وبعد ، فقد نقل الاسلام آلاف الكلمات من معانيها الأصيلة إلى

---

١ نشر الاستاذ حسن سالم في مجلة «المصور» القاهرية بالعدد ٢٧٢٣ الصادر في ١٧ ديسمبر ١٩٦٧ مقالا زعم فيها أن « سدرة المنتهى » التي وردت في سورة النجم من اللاتينية ، وسبقه الى هذا الزعم انستاس الكرملي ، ومن الجائز ذلك إلا في سدرة المنتهى .

معانٍ جديدة ، مثل كلمات الصلاة والصيام والزكاة والفسق والكفر والفقه والإيمان .

وعلماء المسلمين وضعوا لآلاف الكلمات معاني لم تكن معروفة من قبل، لم تعرفها العربية في العصر الجاهلي ، ككل مصطلحات علوم التفسير والحديث والتوحيد والجرح والتعديل والنحو والصرف وعلوم البلاغة والحساب والهندسة والطب والاجتماع والفلسفة والشعر والعروض ومئات العلوم التي عرفها العرب بعد ظهور الاسلام .

كل هذا يثبت أن طبيعة اللغة العربية تقبل « المتغيرات الزمنية » بل تبحث عن الجديد على الدوام لتأخذه وتضعه في معجمها الأصيل .

ولم تجمد العربية في عصور ازدهارها ، بل كانت حية ونشيطة ومرنة ، ولولا هذه الخصائص لما استطاعت استيعاب كثير من الآداب والعلوم والفنون التي لم يعرفها العرب .

بل استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم بعض كلمات من غير العربية ، مع أن فيها ما يقابلها ، ومع أنه في غير حاجة إليها ، ولكنه استعملها إبداء للظرف والايناس ، وإشعاراً بأن العربية لا تتجهم للدخيل .

في « النهاية » لابن الأثير ، مادة سور : « في حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

لأصحابه : « قوموا فقد صنع لكم جابر سُورًا »[1] أي طعاماً يدعو اليه الناس . واللفظة فارسية .

وفي « شفاء الغليل » للخفاجي : « قال عليه الصلاة والسلام : « اشكنْبْ دَرْدْ »[2] رواه مسلم .

وفي سنن الإمام ابن ماجه: قال أبو هريرة رضي الله عنه: هجّر النبي صلى الله عليه وسلم فهجرت وصليت ثم جلست ، فالتفت إليّ وقال : « شِكَمْ دَرْدْ » فقلت : نعم ، فقال : « قم فصل ،فإن في الصلاة شفاء » ومعنى اللفظة الفارسية : « هل وجع بطنك ؟ » .

وفي « النهاية » : أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس الخميصة أم خالد وجعل يقول : « يا أم خالد، سنّا ، سنّا » وهي حبشة بمعنى حسن ، وسنّا بتشديد النون المفتوحة ، وقيل : بالتخفيف ، وفي راوية « سَنَّهْ سَنَّهْ » وفي رواية « سَنَّاهْ ، سَناهْ » بتشديد النون المفتوحة ، وتخفف .

فهذا رسول الله محمد عليه صلوات الله وسلم أفصح من نطق بالعربية ، وأعلم الناس طرّاً بها ، ولا يحيط بها أحد في الوجود سواه ، ويعلم كل لغات العرب ولهجات قبائلها

---

١ سور (على وزن نور) : الطعام الذي يدعى اليه اناس .

٢ « اشكمب درد » شكم : المعدة . درد : ألم ، والمعنى : وجع بطنك .

لا يتحرج في استعمال كلمة « سورا » مع أن في العربية ما يقابلها ، مثل : طعام وأكل ، وكلمة « شكم درد » ومقابلها في العربية : وجع بطنك؟ وكلمة « درد » في الفارسية والبنغالية بمعنى المرض والوجع ،وكلمة « سنا » بمعنى حسن.

وهذه الكلمات التي استعملها الرسول صلى الله عليه وسلم من الحبشية والفارسية والبنغالية لم يدع إلى استعمالها داع من « المتغيرات الزمنية » ودفعه إليه الظرف والإيناس واللطف .

ولنا به أسوة ، وقول الله عز شأنه أمر : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ .

فإذا لم يكن هناك داع واستعمل الرسول صلى الله عليه وسلم كلمات أجنبية رجاء إظهار اللطف والظرف والايناس فإن الضرورة تجيز لنا أن نعرب ونترجم .

وعرفت العربية التعريب والترجمة منذ عصورها الأولى ومن خصائص العربية الاشتقاق الذي يسمح بالوضع والابتكار ، كما أن النحت يساعد على إثراء اللغة ، وكلها مما تتسع له .

واللغة ملك أصحابها ، فنحن نملكها ، ومن حق المالك أن يتصرف فيما يملك دون أن يباح للسفيه هذا التصرف .

والعربية تقبل كل جديد هي في حاجة إليه ، ولا تغلق

الباب في وجه من يستطيع أن يضع من الألفاظ ما يشاء إذا كان عالماً .

وقـــد سبق أن نشرت في جريدة عكاظ سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) بحوثاً في اللغة ،منها : بحث في «الوضع والتعريب» و « حق الوضع » و « اللغة والعلوم » و « عوامل ضعف اللغة العربية » .

والعربية لم يضعها علية القوم ، بل اشترك فيهـــا من لا ذوق لـــه ولا بصر من سفلة الناس ، فكان في اللغـــة من الحوشي والساقط المستبشع ، ولا يمكن أن تكون هذه الكلمات من وضع ذوي الذوق السليم والعلم والثقافة .

وهناك من الألفاظ وضعها بدو همج ، وبدو ذوو ذوق وكل لغة في نشأتها الأولى وضعهـــا من لا حضارة لديهم ولا علم .

فـــإذا أبيح لأولئك الذين لا يعرفون شيئاً من العلم أن يضعوا في اللغة ما يشاءون فإن الحجر على أبناء هذا العصر من العلماء والفقهاء وأعلياء الأدباء والشعراء والمتقفين مردود ، ولم يقل أحد بالحجر.

في جريدة « عكاظ» سنة ١٣٨٠ هـ بحث بعنوان « الوضع والتعريب » وأعدت نشره في كتـابي « آراء في اللغـــة » المطبوع بجدة في ربيع الأول سنة ١٣٨٤ هـ بمطابع المؤسسة

العربية للطباعة التي كنت أملكها قلت فيه :

« إذا كان من حق بدوي جلف لا علم عنده ولا ثقافة لديه أن يبتكر ويضع فما يمنع العلامة المثقف عن هذا الحق . ألأنه تخلف عن الزمن ؟ إن التخلف في الزمن ليس ذنباً يحاسب بـه صاحبه ، فمحمد تخلف في الزمن عن جميع الأنبياء والمرسلين وكان أفضلهم طراً ، وأعظمهم قدراً .

« إن من حق المحدثين أن يضعوا، وإلا فمن أين نأتي بمن يضعون لنا ما نحن في حاجة إليه من الكلمات ؟ إننا لا نستطيع أن ننشر الموتى الذين كان من حقهم الوضع لأنهم أصحاب اللغة الأصلاء » الخ .

وما الذي نصنعه ؟ رأيي أن نضع الألفاظ للمسميات الجديدة والمعاني الحديثة التي لم يسبق لها وجود ، وما هذا بمحجور أو حرام ، بل هو من قبيل فرض الكفاية يقوم به أئمة العلماء والمفكرين والأدباء وأصحاب الفنون .

ويجب أن نضع ألفاظاً لمعانٍ قديمة زيد فيها ، فتلقاء هذه الزيادة يباح الوضع.

وموجز قولي : إن اللغة العربية لم تضق في ماضيها بالجديد الوافد اليها من اللغات وبما هي في حاجة إليه ، ولم تضق في حاضرها ، فقد استقبلت آلاف المصطلحات العلمية والأدبية والفنيـة ، لأنها لغة سمحة مرنـة ، فهي لاتتهم بالجمود ، لأنها لغة الحياة والخلود والحركة الدائبة .

السؤال الثالث

متغيرات ، منعطف ، تفاعل ، اللاثقافة ، وغيرها من الكلمات والعبارات العلمية والسياسية التي حملتها الترجمات العربية من اللغات الحية إلى لغتنا العربية تكاد تسيطر على واجهتنا الأدبية ..

هل تعتبرون ذلك بعثاً نشاطياً وحيوية جديدة لأدبنا العربي أم هو تبعية فكرية للغات العالمية الأخرى ؟



الجواب

الكلمات التي ذكرتها موجودة في العربية ، وأصولها موجودة في القرآن الكريم نفسه ، وهي بمعانيها موجودة في اللغة العربية إلا التركيب الغالط في كلمة « اللاثقافة » فهو تركيب غير عربي ، لأن من القواعد المعروفة ألا تدخل « ال » التعريف إلا على الاسم ، وهي من علاماته ، أما الحرف والفعل فلا تدخل عليهما ، فكلمة « لاثقافة » صحيحة إذا جاءت في الكلام ، وإدخال « ال » عليها يخرجها من التركيب العربي .

و« لا » تدخل على الاسم للنفي ، ففي القرآن الكريم: ﴿ لا عدوان إلا على القوم الظالمين ﴾ وفي الحديث الشريف: « لا حرج » جواباً لمن سأل في يوم النحر عن بعض المناسك قدم منها ما حقه التأخير ، وأخر ما حقه التقديم .

وقد مر في آخر الجواب على السؤال الثـــاني استقبال العربية في عصرهـــا الحاضر آلاف المصطلحات في مختلف الآداب والعلوم والفنون ، ولا يضير المعجم العربي ازدحام موادها الأصيلة بما دخلها من المعرب والمترجم بعد خضوعها لقانون العربية .

إن العربية في العصر الجاهلي وفي عصور الاسلام الأولى فتحت أبوابها لآلاف الكلمات الأجنبية وما اصطلح عليـــه العلماء ، ولم يكن ذلك منها « تبعية » للغات الأخرى ، بـــل كانت مستقلة حرة .

والآن،وقد دخل العربية آلاف المصطلحات فإن المعجم العربي قـــد أربى وازداد ثراء وقـــوة واتساعـــاً بتلك المصطلحات .

وما ثم مخافة على لغتنا من هذا الاستقبال لما جدّ مـــن المصطلحات ، فهي لن تفقد شخصيتها وعلاماتها الفارقة مهما كثر الدخيل اليها إذا خضع لقانونها واصطبغ بصبغتها .

ويعتبر ذلك بعثاً نشاطياً وحيوية جديدة — كما عبرت — لأدبنا إذا كان النقلة من المترجمين والمعربين لغويين يفقهون العربية وأسرارها وفُصَحها ونوادرها .

إذا قام هؤلاء فذلك بعث وحيوية للأدب والعلم والثقافة واللغة نفسها ، أما إذا قام بذلك من لا يحسنون العربية ومن

يجهلونها فهو عبث لا بعث .

ونحن نقرأ في الصحف السعودية وفي الصحف العربية ونسمع من الاذاعة والتلفزيون العربيين السعوديين ومن غيرهما من هذه الكلمات والعبارات وتركيباتها ما تنفر منه العربية ولا تقبله ، لأنه لا يتفق مع أساليبها وقوانينها ،ولأن هؤلاء الذين يستعملونها ليسوا بأهل لأن يضيفوا إلى العربية ما هي بحاجة اليه ، لأنهم – أولاً – ضعفاء فيها ، ولأنهم – ثانياً– جهلة بقواعدها وأساليبها وقوانينها ، ولأنهم – ثالثاً – لا يستطيعون أن يعطوها ما تقوى به وتثري .

وكيف يعطي الشيء فاقده ؟

إن حركة البعث والإحياء لا يقوم بها إلا ذوو الثقافة العالية ، والعلم الغزير ، والفهم العميق ، والإدراك الدقيق ، والواقفين على العلوم والآداب والمعارف الإنسانية .

هؤلاء هم يقومون بحركة البعث والإحياء ، وفي عالمنا العربي طائفة منهم قاموا بحركة البعث والإحياء والتجديد منهم : العقاد والمازني وهيكل وطه حسين والزيات وحسين والي وأحمد الاسكندري والمرصفي وغيرهم .

أما غير الأقطاب من هؤلاء الناشئين الذين يجهلون العربية ولا يحسنونها فهم يعبثون ولا يبعثون .

ومنذ العهد الاسلامي إلى بضعة قرون تلت عصر

الإسلام الأول صحب التجديد لغة العرب ولم يفارقها ، فمصطلحات الاسلام عقيدة وشريعة وفقهاً وتوحيداً وتفسيراً وأصولاً جديدة على العربية ، فهي لم تعرفها من قبل .

والاسلام نفسه هو الذي قام بحركة البعث والإحياء والتجديد ، وكلمة « الاسلام » نفسها جديدة بمعناها ، وكذلك كلمة « القرآن » .

وجاء الأئمة والفقهاء والعلماء في مختلف العلوم والأدباء والشعراء والفنانون والأطباء والعروضيون وغيرهم قاموا بإحداث آلاف المصطلحات لعلوم جديدة ومبتكرات ، وبعض العلماء ترجموا كلمات وعبارات من بعض اللغات ترجمة دقيقة وصحيحة الى العربية مع تنفيذ قانونها دون أن تخرج عنه،وكان هؤلاء المترجمون يعرفون بل يؤمنون بفضل الفصحى ، وبأنهم ينقلون من لغات لا شرف لها الى لغة شريفة كل الشرف .

أما هؤلاء العابثون من المعاصرين فينظرون الى الفصحى نظرة احتقار ، وإلى غيرها من اللغات التي ينقلون عنها نظرة تقديس وإجلال .

وهؤلاء شعوبيون من أحقر الشعوبيين ، ولولا أنهم في بلدان العربية ولا يحسنون اللغات الأخرى لما أقدموا على العبث بالفصحى باسم البعث والاحياء والتجديد .

وفي كل علم وفن وأدب نجد المجددين ذوي ثقافة عالية ، وعبقرية ناضجة ، أما في عالمنا العربي فقد اضطربت الموازين واختلت إلى حد أن يتصدى من لا يحسن العربية بل يجهلها إلى العبث يظنه بعثاً وإحياء وتجديداً .

إننا في أي مهنة لا نسمح بمزاولتها إلا لمن يحسنها ، والمبتكرون المجددون في المهن ليسوا بناشئين ، وإنما هم ذوو الخبرة والمرانة ، وليس غير .

أما لغتنا الفصحى وآدابها فمسموح للقردة أن يعبثوا بها ، ويطلبون إلينا أن نقبل عبثهم بالاسم الذي يخلعونه عليه ، وأن نثني عليهم بالخير .

وهذا الذي نراه في عالمنا العربي ليس له وجود في جميع اللغات ، لأن أهلها حريصون عليها ، ولا يرضون أن يعبث بها ناشئة لا تحسن من العلم واللغة شيئاً .

وما عهدت الفصحى في جميع عصورها بما فيها عصور انحطاط أهلها هذا العبث ، لأنهم كانوا ينظرون اليها نظرة إجلال وولاء وتقديس ، وحسبها قداسة أن تكون لغة كتاب الله تبارك وتعالى ، ولغة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم ينشأ العبث بالفصحى باسم التجديد والبعث إلا بأخَرَةٍ ، بدأ العبث بها في هذا القرن على أيدي أعدائها ،

وتبعهم الضعفاء الجهلة من العرب .

وهؤلاء - وإن وصفناهم بالضعف والجهل - كانوا علماء في علوم وفنون كثيرة ، إلا أن عداءهم للإسلام وافتتانهم بالغرب وحضارته وازدراءهم لحضارة القرآن دفعهم كل ذلك إلى معاداة الفصحى ، فطالبوا - وهم عرب تحولوا إلى عبيد مسخرين للغرب - باحلال العامية محلها ، والغاء الاعراب ، واستبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي ، ولكن حماة العربية قضوا على دعواتهم الهدامة .

وقام منذ خمس وعشرين سنة ناشئون لا يحسنون من العلوم شيئاً ، ويجهلون العربية وقواعدها وأصولها بدعاوى عريضة ، وسيطروا على الصحافة ، فنشروا دعواتهم الهدامة ، وزعموا أنهم مجددون، وأنهم يقومون بحركة البعث والإحياء والتجديد ، وما هم في حقيقتهم إلا أناس يعبثون عن جهل وحقد وعداء .

ومرد هذا العبث والعداء إلى الحركة الشيوعية التي دخلت العالم العربي عن طريق بعض زعمائه الذين انتزعوا السلطة في بلدانهم ، وهم ليسوا بأهل للحكم والقيادة والسلطة ، بل هم من العامة الحاقدين ، فاستخدموا أمثالهم ، فعبثوا جميعاً بكل مقدساتنا وذخائرنا ، وانتهوا إلى وسائل الإعلام وبخاصة الصحافة فسيطروا عليها ، فعبثوا بالفصحى وآدابها.

والصحافة في العالم العربي ليست في أيد إسلامية ، بل هي في أيد غير مسلمة ، وما كان منها في أيد يتسمى أصحابها بأسماء إسلامية لم يكونوا مسلمين إلا بالاسم ، وهؤلاء جميعاً لم يكونوا أمناء على العربية والاسلام .

والصحافة الاسلامية نادرة وضعيفة وغير رائجة ، لأن أصحابها شرفاء نبلاء ، والأمر بيد غيرهم وبيد المستعمرين ، فلم تجد سوقاً مثل الصحافة غير المسلمة .

ومع أن أعداء الفصحى من أذناب المستعمرين كيعقوب صروف مؤسس مجلة « المقتطف » وسلامة موسى القبطي الصليبي صاحب « المجلة الجديدة » وأحد كبار كتاب مجلة « الهلال » لصاحبها جرجي زيدان وغيرهم من أكبر دعاة هدم الفصحى والمنادين باتخاذ العامية لم يكتبوا مقالاً واحداً بالعامية ، وإنما كل ما كتبوه كان بالفصحى ، فسرت دعوتهم إلى غيرهم .

وكل الدعاة الكبار ليسوا مسلمين ، بل هم مسيحيون صليبيون مستعمرون ، وجاءت الشيوعية إلى العالم العربي منذ ربع قرن فانضمت قوة هدامة إلى الصليبية والاستعمار ، واتحدت قواهم لضرب الفصحى .

وإذا أخفقت الصليبية والاستعمار في هدم الفصحى أو زلزلة قواعدها والغاء قانونها فان الشيوعية استطاعت ما لم

تستطع القوى التي سبقتها، ونجحت الشيوعية في نشر دعوات هدم الفصحى ، لأن أتباعها استولوا على السلطة في بعض البلدان العربية ، وتسلّم قيادة الصحافة والرأي طبقة ممن تسميهم الشيوعية كادحين أضيفوا إلى المنحرفين الموالين للغرب ، المعجبين بحضارته .

فالصحافة في العالم العربي خاضعة لخصوم الإسلام في أيامنا إلا ما لا نفوذ له .

والصحافة السعودية كانت لأفراد غُيُر على العربية ومن العلماء فيها وفي علومها وآدابها وفنونها ، وكانوا إلى جانب ذلك علماء في علوم الدين .

ثم أُلغيت امتيازات الافراد ، وصارت مؤسسات ، وتولى رئاسة تحرير بعض الصحف من لا يحسنون العربية من النشء الجديد ، وصار المحررون مثل رؤساء التحرير هؤلاء الذين يجهلون العربية ، فأخذنا نقرأ ما يكتبون من مبذول القول شعراً ونثراً ، وأكثره خارج على قواعد الفصحى ، وكان ضرر لغتهم التي يكتبون بها كفاء ضرر العامية .

وإذا أردنا إصلاح الصحافة من الناحية اللغوية وجب علينا ألا نسمح بالعمل الصحفي إلا لمن يحسن العربية ، وكذلك بالنسبة للاذاعة والتلفزيون .

وهذا فرض في رأيي ، فبلادنا بلاد العربية الفصحى . وموطنها الأول ، فنحن أسلاف القبائل التي كانت تسكن الحجاز ونجد ممن أخذت منهم اللغة الفصحى العالية ، ولا يصح بخلفهم أن يخرجوا عليها .

وإذا كنا نقرأ في صحفنا آلاف الاعلانات التي يطلب أصحابها « موظفين » تشترط فيهم الخبرة ، وتمتحن خبرتهم وقدرتهم فإن من الواجب اختبار من يريد أن يكون محرراً أو رئيس تحرير أو محدثاً في الاذاعة والتلفزيون أن يؤدي امتحاناً في اللغة التي يريد أن يكتب بها أو ينطق .

أما السماح لمن لا يحسن العربية أو يجهلها بالعمل فكارثة على الفصحى : لغة القرآن والاسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام .

ونحن وكل غيور على لغة القرآن حراسها وحماتها ، ونجاهد في سبيلها حتى نذود عنها الكارثة المرتقبة إذا سمحنا لمن يجهلها أو لا يحسنها بالعمل في الاعلام .

وإنا غير سامحين .

السّؤال الـرّابع

هل من الضروري أن يكون الأديب لغوياً ملماً بكل قواعد اللغة من نحو وصرف وبلاغة بحيث يعرف كل الخلافات اللغوية بين البصريين والكوفيين والحجازيين وما إلى ذلك من المدارس اللغوية أم يكفي أن يكون ملماً بأصول محدودة للقواعد التي يتطلبها التعبير السليم .



الجَوابُ

ما الأديب ؟ أليس هو الذي يعبر عن خوالجه وشعوره نثراً أو شعراً ؟ بلى .

أو ليس الأديب يتخذ اللغة أداة تعبيره ؟ بلى ، إنه يتخذها ، إذن ، فهو ملزم بمعرفة قانون هذه اللغة وتطبيقه على ما يقول أو يكتب ، ولا يباح لأديب في أي لغة من اللغات أن يجهل قانون اللغة التي يعبر بها ، والأديب في العربية مجبر على أن يعرف قانونها ، ومفروض فيه أن يكون ملماً إلماماً حسناً بقواعد النحو والصرف والبلاغة حتى يتجنب « المخالفات » والغلطات ، ويعرف فن القول معرفة ثاقبة .

أما أن يكون الأديب واقفاً على مدارس النحو فلا ضرورة ، لأنه لا ضرورة له في الوقوف على ما بينها من

خلاف ، وبحسبه أن يعلم القواعد التي يتطلبها التعبير ، حتى يتجنب الخطأ واللحن .

وأكثر كتاب الصحف والمتحدثين في الإذاعة والتلفزيون لا يحسنون فهم القواعد ، بل يجهلونها ، وبلغ من تجني بعضهم على الحق أن يحملوا على اللغة وعلى من يحرصون عليها وعلى قواعدها ويسمون اللغة وقواعدها ـ أحياناً ـ شكلاً ، فيقولون وهم يريدون تسويغ غلطاتهم في اللغة : نحن نهتم بالمضمون ، ولا يهمنا الشكل الخ .

ومخالفة القانون إثم أو خطأ يعاقب عليه المخالف ، فقانون البلدية يعد من يلقي القمامة في الشارع مخالفاً ،ويعاقبه على هذه المخالفة التي يتجنبها الناس حتى لا ينزل بهم العقاب.

وهؤلاء الذين لا يحسنون المضمون يرتكبون الغلط ، ويخالفون قانون اللغة ويريدون أن يجعلوا خطأهم وغلطهم قانوناً متبعاً .

ولا يقع في الأمم الأخرى ما يقع في أمتنا العربية في هذه الايام ، فكل أديب في كل لغة – اليوم – يحرص على قانون اللغة ، وهذا « ألبرتو مورافيا » الذي يعجبون به لانحلاله وأدبه الداعر لم يخرج قط على قانون لغته ، بل يحرص عليه أشد الحرص .

وكتاب الصحف لدينا ـ إلا النادر ـ يجهلون قواعد

العربية ، فلا تخلو فقرة من فقرات ما يكتبون من الخطأ ، لأنهم يجهلون قواعد العربية ، وأما المضمون فكفاء الشكل لديهم .

وإذا كان الناس لا يرضون عن صاحب مهنة يجهلها ويجهل قانونها فان من الباطل الرضا عمن يدعون أنهم كتّاب وهم لا يعرفون قانون الكتابة .

إنك لا تمسك بمن لا يحسن النجارة وتطلب إليه أن يصنع لك نافذة ، لأنه لا يحسن النجارة ، فكيف ترضى أو ترضى الصحف بإنسان يجهل قواعد الكتابة وقانونها وتطلب إليه أن يكتب لها ، أو تستخدمه في تحرير بعض أبوابها .

إن لكل مهنة حرماً ، ولا يجوز لأحد أن يتقحم هذا الحرم إلا إذا كان يحسنها ، فإذا أحسنها أعطي رخصة العمل بعد الاختبار .

أما في الأدب والكتابة فلا حجر على أحد أن يتقحم حرمهما ، ولهذا رأينا الذين لا يحسنون العربية ولا يعرفون قانونها يملأون صحفنا بكتاباتهم التي يعاقبهم عليها قانون اللغة والكتابة .

وإذا كان غير مباح لصاحب مهنة من امتهانها بغير رخصة فان من الفرض على وزارة الإعلام ألا تسمح لأحد

بالكتابة في الصحف أو التحدث في الإذاعة أو التلفزيون إلا إذا كانت لديه رخصة تشهد له بإحسان مهنته وفهم أصولها وقواعدها .

ولا يجوز أن ينتهك حرم الفصحى ، ويباح انتهاكها علانية في وسائل الاعلام عندنا ، لأن أي صاحب مهنة لا يحسنها تمنعه « الجهة المختصة » منعاً .

فالحلاق الذي يجرح من يحلق لهم دائماً أو في الغالب يمنع من مهنته التي لا يحسنها ، وكذلك يجب منع من يكتب بلغتنا الفصحى وهو يجرحها على الدوام ، لأن مهنة الكتابة ليست أقل من مهنة الحلاقة أو أي مهنة أخرى ، لأنها أشرف المهن طراً ، إذ هي مهنة استخدام لغة القرآن .

أما إلمام الأديب بالبلاغة فضرورة لا غنى له عنها ، لأن الادب بيان رفيع ، وكيف يدرك الأديب بلاغة الأدب إذا لم يعرفها ؟

إن الأديب يحس البيان والبلاغة بذوقه إذا كان ذا ذوق سليم ؛ ولكن لا يعرف اسم صنوف البلاغة في فن القول ؛ ولا يفرقُ بين الحقيقة والمجاز ،ولا يعرف ضروب المجاز وأنواع الاستعارة .

والأديب مجبر على معرفة قواعد البلاغة وأصولها مادام الأدب نفسه قائماً على التعبير البليغ الجميل .

السؤال الخامس

اللغة الدارجة (العامية) التي أصبحت اليوم تستعمل بكثرة في الإذاعة والتلفزيون ، في البرامج العامية ، وفي المسرحيات والتمثيليات ، ألا يكون مردودها البطيء مؤثراً على اللغة الفصحى ؟

ما مدى هذا التأثير ؟ وكيف يمكننا القضاء عليه ؟

وما رأيكم في الدعوة إلى إلغاء الحروف العربية واتخاذ الحروف اللاتينية بدلا عنها ؟

وما رأيكم في دعوة إلغاء الإعراب ؟

الجَوابُ

موقفي من العامية ورأيي فيها معروفان قبل وجود الراديو والتلفزيون في بلادنا ، فأنا لا أبيح اتخاذها لغة الأدب ، لأن في ذلك تنفيذاً لمخطط أعداء الإسلام ولغة القرآن ومحمد عليه الصلاة والسلام .

وأعتَدّ فسح المجال للعامية لتبرز في وسائل الاعلام إثماً مبيناً ، وأحاربها وأحارب دعاتها ومروجيها ، لأنني أعرف خطر ذلك على القرآن والحديث ولغتهما وعلينا نحن العرب والمسلمين .

قال سيد الخلق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع وهو بين يدي ربه في عرفات : « قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله وسنة نبيه » .

ومن الاعتصام بهما معرفة لغتهما ، لأن من جهلها لا يحسن التمسك بهما .

وأعداء الاسلام أدركوا خطره عليهم أكثر من إدراك المسلمين ، فاستطاعوا أن يلغوا حكمه في كل أقطار الإسلام. إلا هذه البلاد السعودية ، واستبدلوا بشرع الاسلام شريعة الكفر .

وحاصروا القرآن الكريم حصاراً ، وتناولته قوى الشر : الاستعمار ، والصليبية ، والشيوعية ، والصهيونية ،وزَوَوْه من المدارس ، فلا يدرس ولا يحفظ إلا بعض سور منه يلحن في قراءتها الحافظون ، حتى أن دعاة في مصر مثل سلامة موسى القبطي المسيحي الصليبي طلبوا حذف كل الشواهد القرآنية من كتب التلامذة ، بحجة أن بينهم أقباطاً ، فخذلهم الله ورد كيدهم إلى نحورهم .

وقد قلنا في مقدمة كتابنا « الزحف على لغة القرآن » المطبوع ببيروت سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) ما ننقل بعض فقراته .

قلنا : « تناولت هذه القوى القرآن الكريم بالنقد والتجريح والتخطئة ، واتخذوا أساليب كثيرة لضربه في الصميم بوساطة ما زعموه أنه « البحث العلمي » و « حرية الفكر » ومقتضيات الحضارة والمدنية في البحث والدراسة .

« وتحت شعار البحث العلمي وحرية الفكر تناول المستعمرون المبشرون الصليبيون الصهيونيون الشيوعيون القرآن شر تناول .

« باسم الحضارة والمدنية قضوا على ما فيه من تشريع وعبادة ، وباسم حرية الفكر وإطلاقه من اغلال العقيدة زعزعوا عقيدة الإسلام » .

« وباسم البحث العلمي نزعوا عن القرآن قداسته ومزقوا عنه ثوبها وجعلوه كتاباً كأي كتاب لا يفضله في شيء وان كان غيره يفضله،وأخضعوه لمناهجهم في البحث وقواعدهم في النقد .

« فانبعث منهم جهلة زعموا أن في القرآن عديداً من الخطأ النحوي ، ومن هؤلاء : القسيس الدكتور « فندر» ومن يدعى « هاشماً العربي » [1] وبعض السفلة الخ .

« وزعم بعضهم أن قصصه غير مقصود بها الواقع التاريخي ، بل مجرد العظة والعبرة مثل قصص القصاصين ، وما فيه من قصص إن هو إلا أساطير » الخ .

وأدرك أعداء الاسلام أن قوته في القرآن وفي مكة المكرمة

---

١ هاشم العربي ، ليس هاشماً ولا عربياً ، فهو صليبي كفور جهول بالعربية يدعيها كذباً ، نقد القرآن الكريم نقداً لغوياً على جهله بالعربية .

حرسها الله ، وأشار أحدهم وهو : « وليم جيفور بلجراف» إلى أمنية أعداء الاسلام ولخصها في قوله : « عندما يختفي القرآن ومكة من بلاد العرب يسهل علينا أن ندفع المسلم في سبيل الحضارة » .

وأي حضارة ، إنها المسيحية والكفر .

وردد ما قاله بلجراف غير واحد من هؤلاء الأعداء ، فمولوتوف أحد أقطاب الشيوعية ووزير الخارجية الأسبق في الاتحاد السوفييتي قال ما قال بلجراف ، وأمنيته هدم الكعبة حتى لا يجد المسلمون قبلة تجمعهم .

فالقرآن هو الخطر على كل القوى المعادية للاسلام ، لأنها مدركة أن القرآن يحوي الاسلام كله شريعة وعقيدة وسلوكاً واجتماعاً ولغة وعلوماً وفنوناً وآداباً وأخلاقاً ونظاماً شاملاً للحياة والأحياء .

ورأت هذه القوى المعادية أثر القرآن في المسلم أياً كان وطنه ولغته ، رأت التكروني في وسط غابات أفريقيا ، والهندي في مجاهل الهند ، والأندنوسي في الجزر البعيدة المبعثرة ، والمسلم أنى كان من تشيلي إلى اليابان ، ومن الصين إلى المغرب ، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى المحيط المتجمد الجنوبي ، في كل القارات يتلو المسلمون من القرآن مايحفظونه بلغة القرآن الفصحى ، ويقدسون هذه اللغة الكريمة ، لأنها

لغة القرآن ، ولغة نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام ، ولغة دين الاسلام .

إن المسلم أنى كان تذكره الكلمة العربية التي يجهل معناها ولا يحسن نطقها بالقرآن وبرسول الله وبكتبه ورسله وباليوم الآخر وبكل مجد الإسلام .

والقرآن يجمع المئات من الملايين من المسلمين مع تفرقهم على ظهر هذه الأرض ، ويوجههم إلى قبلة واحدة هي كعبتهم في مكة المكرمة .

ورأى أعداء الاسلام أن القضاء على القرآن هو الذي يقضي على الاسلام والمسلمين فحاصروه من كل جانب وضيقوا الحصار عليه ، ووالوا قذفه بقذائفهم ليل نهار ، وجردوا عليه حملات ضارية تتناوله من كل جانب .

حملة تتناول أسلوب القرآن الرائع الجميل المحكم المعجز بالنقد والتقبيح والتجريح .

وحملة تتناول القرآن معجزة فلاجة أنكروها .

وحملة تتناول قصصه وتزعم أنها أساطير .

وحملة تتناول جمعه وتفسيره وما جاء فيه من قصص الأنبياء والأمم والشعوب .

وحملة تتهمه بشتى التهم في أركان الاسلام والإيمان .

وحملة تتناول ما فيه من عبادات وتشريع ، وحدود ونظم وأحكام ..

وحملة تتناوله على أنه نسخة مشوهة من كتب العهد القديم والعهد الجديد ، والحاذقون من الأعداء يذكرون أن القرآن نسخة مفصحة من تلك الكتب .

وحملة تتناول فنه البياني ومعانيه وقراءاته وتدريسه .

وحملة تتناول لغته ونحوه وصرفه حتّى بلغ بهم الأمر إلى أن يزعموا أن فيه غلطات نحوية .

وأقوى حملاتهم حملتهم على لغته ، فهم مدركون حق الإدراك أن ضرب لغة القرآن سيقضي عليه وعلى السنّة المحمدية وعلى الأدب والعلم والفن في العربية كلها وعلى كل التّراث الحضاري .

ولهذا وجهوا أقوى حملاتهم إلى لغة القرآن الفصحى ، ووضعوا مخططاً اجتمع له ذكاء أعداء الاسلام فانتهوا إلى أن يعملوا هم ومن سيصنعونهم على أعينهم من العرب والمسلمين على اتخاذ كل دعوى ماكرة خبيثة حتّى يقضوا على الفصحى ، لأن في القضاء عليها قضاء على القرآن ، وفي القضاء على القرآن قضاء على العقيدة الصحيحة والشريعة السمحة وكل التّراث الاسلامي .

ولو قالوا : نحن أعداء الاسلام ، وجئنا لضرب

الفصحى لكانوا أغبياء ، وهم ليسوا إلا أذكياء ، فادعوا الغيرة ، وأعلنوا أن لغة الشعوب العربية لغة عامية وليست فصحى ، والفصحى ليست إلا لغة الشذوذ ، وليست لغة العموم ، فيجب أن تكون لغة العموم هي السائدة ، ويجب أن تموت لغة الشذوذ لتحيا لغة العموم .

وزعموا أن من الظلم إغفال العموم والاهتمام بالشذوذ.

ودعوا إلى اتخاذ العامية لغة الأدب والفن والعلم ، ونادوا بما سموه أدب الشعب والأدب الشعبي ، وهم يعرفون أن الأدب الشعبي باللغة العامية .

وزعموا أن اتخاذ العامية يرفع مستوى الشعب أدبياً وعلمياً وفنياً وحضارياً ، ويدفعه إلى الابتكار والتفكير الحر والاختراع .

ادعوا هذا وهم يعلمون أن الدعوة إلى العامية صدرت من أناس أبرز صفاتهم معاداة الاسلام التي دفعتهم إلى هذه الدعوى الخبيثة ، وحملهم مكرهم على ادعاء الغيرة على الأمة العربية ليتم لهم الخداع وتحقيق أملهم وتنفيذ مخططهم الرهيب .

ادعوا هذا كله وهم يعلمون أن ارتفاع مستوى الشعوب الأوروبية والامريكية لم يكن بسبب اتخاذهم العامية ، فما كانت العامية قط لترفع المستوى وهي هابطة مبتذلة .

ومَنْ هم أئمة الدعوة إلى العامية ؟ أهم عرب مسلمون ذوو غيرة على الاسلام ولغة القرآن ؟ كلا ، إنهم ليسوا بعرب ،فهم فرنجة ، وليسوا في لغاتهم الأصيلة من فئاتها وأدبائها ، وهم شر أعداء العرب والمسلمين والاسلام والعروبة والقرآن ولغة القرآن ومحمد عليه الصلاة والسلام ولغته الفصحى .

وأئمة الدعوة إلى العامية وإحلالها محل الفصحى هم :

أولا — ولهلم سبيتا الألماني .

ثانياً — كارلو لندبرج الأسوجي .

ثالثاً — كارل فولرس الألماني .

رابعاً — وليم ولكوكس الانجليزي .

خامساً — سلدن ولمور الانجليزي .

هؤلاء هم أقطاب الدعوة إلى اللغة العامية ، وكلهم استعماريون حاقدون على الشرق وبخاصة العرب والمسلمون والعروبة والاسلام ، ولغة القرآن ، وحقدهم أشد على كتاب الله ، لأنه هو جامع المسلمين إلى يوم يبعثون .

وصنعوا على أعينهم دعاة مسيحيين من العرب حملوا معهم وعنهم الدعوة من أمثال : يعقوب صروف ومجلته « المقتطف » وسلامة موسى القبطي ، بمصر ، وسعيد عقل

من مسيحيي لبنان الذين يتضرمون حقداً على القرآن ولغة القرآن وغيرهم من أمثالهم .

فولهلم سبيتا الالماني (١٨١٨ – ١٨٨٣م) ألماني كان موظفاً بدار الكتب المصرية ، وبدأ دعوته منذ سنة ١٨٧٠م وأصدر في سنة ١٨٨٠ كتابه « قواعد اللغة العامية في مصر» وشن فيه حرباً شديدة الضراوة على الفصحى ،ودعا بإخلاص وقوة إلى هجر الفصحى التي وجه إليها اتهامات غاية في البشاعة والنكر ، واتخاذ اللغة العامية بدل الفصحى التي صب عليها كل غضبه ونقمته ، ودعا إلى نبذ الخط العربي واستبدال الحرف اللاتيني به .

وبينا كان سبيتا الالماني يقوم بدعوته الخبيثة في مصر ويعينه بعض مثقفي المسيحيين من مصر ولبنان كان في أوروبا زميل له يقوم بالدعوة إلى العامية مع غيره من المستشرقين .

إنه كارلو لندبرج الأسوجي (من أسوج : السويد) وسمى نفسه عمر السويدي ، وقد أعد محاضرة وألقاها في مؤتمر اللغويين المنعقد في ليدن سنة ١٨٨٣ دعا فيها مثل سبيتا الألماني إلى اتخاذ العامية وإلى إحلالها محل الفصحى التي لا تصلح ، وحمل على الفصحى في حقد ، ودعا إلى العامية التي رفع من شأنها ، وصاغ لها المديح ، بل كاله لها كيلاً .

وسر المستشرقون الذين حضروا المؤتمر ، وأيدوه كل

التأبيد ، فكلهم عدو القرآن ولغته الفصحى .

وبرز من قادة الدعوة في مصر مستشرق ألماني يدعى كارل فولرس (١٨٥٧ – ١٩٠٩م) ووظفه المستعمرون الانجليز أميناً للمكتبة الخديوية بالقاهرة .

وهو من أشد الدعاة لؤماً وحقداً ، فقد ألف كتباً معدودات في اللغة العامية ومدحها . وأشهرها كتابه المسمى « قواعد اللغة العامية في مصر » وسبيله فيه سبيل رفاقه ، فقد أعلن على لغة القرآن الفصحى حرباً ضروساً ، واتّهمها بالجمود ، ودعا إلى العامية .

وظهر في ميدان حرب الفصحى والدعوة إلى العامية مهندس انجليزي يدعى السير وليم ولكوكس (١٨٥٢ – ١٩٣٢ م) ولد بالهند وتعلم بها ، وهلك في مصر ، ووظفه المستعمرون الانجليز بإحدى الوظائف الكبرى .

وقد اطلع على جهود من سبقوه من الأوروبيين وبحوثهم ودعوتهم ، فحمل عنهم الراية ، وألقى محاضرات تجنى فيها على الفصحى وحمل عليها حملات عنيفة ، ودعا إلى نبذها بعد أن اتهمها بأبشع ضروب الاتهام ، وأول محاضرة له كانت سنة ١٨٩٣ م .

اتهم ولكوكس اللغة الفصحى : لغة القرآن بالجمود والتخلف وزعم أنها عاقت العرب وتعوقهم عن التقدم

والحضارة ، وسلبتهم ملكة الابتكار والاختراع ، ودعا إلى العامية التي وصفها بأنها تدفع إلى الحضارة والتقدم ، وتساعد على الابتكار والاختراع .

وقد أثرت دعوته في فريق من المصريين مثل قاسم أمين وأحمد لطفي السيد وسلامة موسى ويعقوب صروف وغيرهم .

وفي الفترة التي كان ولكوكس يقوم بدعوته إلى اللغة العامية وإحلالها محل الفصحى ظهر على مسرح الدعوة قاض بريطاني من قضاة الانجليز في إحدى المحاكم بمصر ، ويدعى هذا القاضي سلدن ولمور ، وقد ألف كتاباً سماه « العربية المحلية في مصر » .وأصدره سنة ١٩٠١ م وكان أشد من سابقيه في محاربة الفصحى والدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى .

بل ذهب إلى أبعد مما ذهب اليه سابقوه ، وبنى دعوته على هذه الأسس :

١ – نبذ الفصحى وهجرها ، لأنها لغة جامدة ، بل ميتة.

٢ – إلغاء الخط العربي ، واستبدال الحرف اللاتيني به.

٣ – اتخاذ لغة أجنبية بدل الفصحى والعامية .

٤ – السماح للعامية بالعيش لتكون لغة الشارع .

هذه أسس دعوته ، فهو قد حكم على الفصحى بالجمود

والموت ، أليس قاضياً ؟ إذن ، من حقه أن يصدر هذا الحكم وغيره من الاحكام،وأنذر وقرر أن الفصحى والعامية ستنقرضان لتأخذ مكانهما لغة أجنبية .

وحسب أن ما قرره سينفذ ، وأن العرب لا يملكون إلا تنفيذ ما قرر ، وسيحملهم قراره النافذ على اختيار بقاء العامية ، وحبه للعرب سيحمله على أن يسمح لهم بالعامية ، ويقول في كتابه « العربية المحلية في مصر » :

« ندع جانباً كل حكم خاطىء وجه إلى العامية ، وأن نقبلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد على الأقل في الأغراض المدنية التي ليست لها صبغة دينية » .

سبب سماح القاضي الانجليزي للعامية بالبقاء أنها لغة ليست لها صبغة دينية ، ولو كانت لها هذه الصبغة لألحقها بالفصحى التي حكم عليها بالمرت .

ويعرف القاضي ولمور أن تنفيذ الاحكام موكول إلى السلطة التنفيذية ، فهو يدعوها قائلاً :

« خير الوسائل لتدعيم اللغة القومية هي أن تتخذ الصحف الخطوة الأولى في هذا السبيل ، ولكنها ستكون في حاجة إلى عدد قوي من أصحاب النفوذ ، فإذا نجحت هذه الحركة فإن وقتاً قصيراً في التعليم — وليكن سنتين — كافٍ لنشر القراءة والكتابة في البلاد » .

ومَنْ أصحاب النفوذ ؟ إنهم الانجليز الذين كانوا يحكمون مصر في عهد ولمور ، واللغة القومية هي اللغة العامية.

وليتم تنفيذ أحكامه ومنها : إعدام الفصحى والعامية تمهيداً لإحلال اللغة الأجنبية محل الفصحى والعامية قرر في حكمه هجر الخط العربي ، واحلال الحرف اللاتيني محله .

وعندما ينفذ حكم القاضي الانجليزي باتخاذ الحرف اللاتيني محل الخط العربي سيكون القرآن الكريم والحديث الشريف وكل كتب العرب والمسلمين في عزلة عنهم ؛ وسيأتي وقت يكون كل ذلك مثل ما كتب باللغة الهيروغليفية التي لا يحسنها إلا عدد يسير لا يتجاوز المئة ، هم من علماء الآثار القديمة .

وعندما يبتعد العرب والمسلمون عن اللغة الفصحى والخط العربي لا يستطيعون أن يقرأوا القرآن الحديث فيموتان إلى الأبد ، ولن تقوم للعرب والمسلمين قائمة أبداً ، لأنهم فقدوا القرآن واللغة ففقدوا كل أسباب الحياة ومقوماتها.

وكل هؤلاء الدعاة الفرنجة ليسوا ذوي شأن في لغاتهم، وليس أحد منهم بارزاً في لغة وآدابها ، ومع هذا يتطفلون على لغتنا الفصحى ويتجنون عليها ويحاربونها ، ويطلبون إلينا أن نسمع منهم ونطيع ، فما أشد غفلتهم عندما ينتظرون منا التسليم لهم ، والانخداع بدعوتهم الباطلة الهدامة .

ثم من يصدق أن هؤلاء الأعداء محبون لشعوب الأمة العربية وذوو غيرة عليهم وعلى لغتهم ؟!

ودعوة ولمور الانجليزي ، وعدو الفصحى والقرآن والحديث إلى اتخاذ الحرف اللاتيني بدل الخط العربي لم يجد من يسمع له ، فقد عرف الناس أنه يريد الشر بالعرب والمسلمين من دعوته الهدامة هذه .

ولم يكن ولمور أول من دعا هذه الدعوة ، فقد سبقه ولهلم سبيتا الألماني إليها ، ففي كتابه « قواعد اللغة العامية في مصر » الذي أصدره سنة ١٨٩٠ بالقاهرة يقول :

« طريقة الكتابة العقيمة أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم في كل هذا » و « بالتزام الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور » .

وجاء القاضي ولمور وشرح دعوة سبيتا ، وأصدر حكمه بنبذ الخط العربي وإحلال الحرف اللاتيني ، وكان ذلك سنة ١٩٠١ في كتابه « العربية المحليّة في مصر ».

وكان بعض علماء العرب والمسلمين قد بهرتهم الحضارة الغربية وظنوا أن كل ما يدعو إليه أصحابها المستعمرون حق يجب أن يقابل بالتجلة والاحترام ، فكان أول من دعا إلى اتخاذ الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية داود جابي

الذي حمل عن أعداء الاسلام دعوتهم الشريرة ، وألف كتاباً سماه « إصلاح حروفه دائر » (باللغة التركية) وطبعه سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨) اخترع محاسن للحروف اللاتينية ومعايب للحروف العربية .

ولا شك عندي أن داود جلبي مدفوع في رعونة من الاستعمار الأوروبي ، وقد أخذ بدعوته مصطفى كمال من يهود الدونما عندما استقل بحكم تركيا ، فقد ألغى الخلافة الاسلامية ، والمحاكم الشرعية ، واللغة العربية ، وضرب الإسلام في الصميم ، وخاصمه وحاربه ، واستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية ، وبذلك عزل الشعب التركي المسلم عن لغة الاسلام والقرآن .

أما العرب والمسلمون الذين يتخذون الحرف العربي لكتابة لغتهم فلم يقبلوا دعوة الهدم ، بل حاربوها حتى ماتت الدعوة .

ويختدع عبد العزيز فهمي باشا أحد زعماء الوطنية بمصر ومن كبار فقهائها بدعوة أعداء الاسلام والقرآن ولغتهما الفصحى ، فيحمل الراية ويدعو بجهارة وقوة من فوق منبر المجمع اللغوي المصري إلى نبذ الحروف العربية واتخاذ الحروف اللاتينية .

والمجمع اللغوي المصري حصن الفصحى ، ومع هذا

علا عبد العزيز فهمي منبره وهو عضو به لحماية الفصحى وأطلق منه دعوة الكفر الهدامة .

لقد أعد عبد العزيز فهمي بحثاً ضمنه آراءه الخبيثة ، وألقاه على أعضاء المجمع اللغوي في جلستيه المنعقدتين في ٢٤ و٣١ يناير سنة ١٩٤٤ م وبلغ فحش تجنيه الغاية ،وقال:

« لقد فكرت في هذا الموضوع منذ زمن طويل ، فلم يهدني التفكير إلا إلى طريقة واحدة ، هي اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات بدل حروفنا العربية كما فعلت تركيا .

أخطر هذا في بالي عقب أن أمر المرحوم (كذا) مصطفى كمال باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية التي كانت مستعملة في كتابه اللغة التركية » .

وفي بحثه تكرر دعاؤه بالرحمة على مصطفى كمال المعروف بعدائه للاسلام ، وهذا يسلكه معه ، فهو له تابع أمين .

وما كاد ينتهي من إلقائه هذه ونشره بالصحف حتى بادر أعداء الفصحى إلى مدحه ، وأسفوا على أن العرب أضاعوا فرصة التقدم والحضارة ، كما زعموا . وحق لهم أن يأسفوا ، فقد ماتت دعوته الهدامة الخبيثة التي جدد بها دعوات أعداء الفصحى الأوروبيين .

وتصدى للرد عليه بالمنطق الغلاب كبار أعضاء المجمع اللغوي وفي طليعتهم الأستاذ عباس محمود العقاد .

وأجمع أعضاء المجمع على رفض اقتراح عبد العزيز فهمي إلا بعض الصليبيين من أعداء الاسلام مثل المستشرق البريطاني المشهور الدكتور ه . ا.ر. جب .

أما رئيس المجمع أحمد لطفي السيد فلم يعلن تأييده لصديقه الحميم عبد العزيز فهمي لأنه الرئيس ، وإن كان من مؤيديه ، إذ سبقه إلى دعوات الهدم .

وتنتقل دعوة اتخاذ الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية إلى لبنان ، ويحمل غير واحد من مسيحيي لبنان المعادين للاسلام والفصحى راية الدعوة حتى أن أحدهم وهو سعيد عقل يدعو اللبنانيين إلى القتال .

وأراد سعيدعقل أن يطبق الدعوة إلى العامية واتخاذ الحرف اللاتيني فأصدر ديواناً له صغير الحجم والمقاس باسم « يارا » بالعامية وكتبه بالحرف اللاتيني .

وقبل صدوره أنفق الآلاف للدعاية لديوانه ، فطبل له وزمر ، وخرج الديوان الصغير وسط بركان من الدعاية، إلا أن الديوان ولد ميتاً ، وكان صدوره تشييعاً له إلى القبر .

وملخص دعوة سعيد عقل بقلمه في مقال نشرته جريدة « النهار » البيروتية ، يقول فيه :

« نواجه معركة اللغة فنخوضها غير هيابين ، إن ناموس الافصاح يقضي بأن يحل لسان النطق محل لسان الكتاب ، ولسان الكتاب هنا هو هذا الذي حنا عليه لبنان وأبلغه أشده ، ولقن العرب كيف إطلاع التحفة فيه ، ورصّعه هو بجواهر لا تموت ، ومع هذا فلغة الحياة والحرف اللاتيني – أداة تدوينها العلمية الأحدث – إنما هما اللذان يقاتل لهما اللبناني منذ قرن ، قبل أن راحت مصر تنتج مسرحيات وأشرطة بلغة الحياة ، وقبل أن قال السيد عبدالعزيز فهمي بحرف لاتيني » .

وكرر سعيد عقل أباطيله هذه ، وأرصد جائزة مقدارها ألف ليرة لبنانية كل شهر لمن يؤيد دعوته الباطلة الهدامة .

والقتال الذي ذكره سعيد عقل في حاجة إلى أسلحة وأموال وجنود ، وهذا شأن كل قتال ، والبركة في الدول المعادية للاسلام وللعرب ، فقد أعطوه الأموال والأسلحة ، أما الجنود فهو يعدهم ، وهو قائدهم .

وواقع الحال يرد دعوته عليه ، ففي قرن القتال حتّى اليوم صدرت في لبنان للبنانيين مسيحيين مئات الكتب ، ليس بينها كتاب واحد بالعامية المكتوبة بالحروف اللاتينية غير وريقات بقلم سعيد عقل نفسه سماها ديوان « يارا » وظهر كفقاعة الصابون ، وولادتها نذير موتها السريع .

ومن العجيب أن يصدر مسيحيون من لبنان معاجم اللغة العربية ويتصدى منهم أناس لإصلاح خطأ العامة وتصويب اللحن ، وآخرون لتأليف كتب في قواعد اللغة العربية الفصحى .

وماتت دعوات هدم الفصحى التي انتصرت منذ ظهرت إلى الوجود حتى اليوم ، وستنتصر على الدوام بإذن الله ومشيئته.

لقد اتخذ أعداء الاسلام والقرآن كل السبل لهدم الفصحى فدعوا إلى العامية ، ودعوا إلى إحلالها محل الفصحى ، ودعوا إلى إلغاء الاعراب ، ودعوا إلى اتخاذ اللاتينية بدل الحرف العربي ، وحاربوا الفصحى حتى دعوا إلى حذف الشواهد والأمثلة القرآنية من كتب التلامذة بحجة أن بين التلامذة مسيحيين ، فأخفقوا ، وأصيبوا بالهزائم تلو الهزائم ، ومع كل هذه الهزائم مازالت الدعوة إلى العامية باقية يروجها أعداء الفصحى ، ويستجيب لهم في استعمال العامية والترويج لها عرب مسلمون ، وفي بلاد العربية السعودية من يروج لها ويستعملها في الصحف والاذاعة والتلفزيون .

ويجب أن تخلو وسائل الاعلام عندنا من اللغة العامية ، لأنه في الترويج لها واستعمالها استجابة لدعوات أعداء الإسلام والقرآن ولغتهما الفصحى .

ودعاة العامية إلا النادر من سبيتا وولكوكس وسلامة

موسى وأحمد لطفي السيد ومارون غصن وأنيس فريحة ويعقوب صروف إلى غيرهم لم يكتبوا بالعامية التي دعوا إليها ، لأنها قاصرة وعاجزة عن التعبير عن العلوم والآداب الرفيعة ، ولأنهم مدركون أن العامية عيب ، وهم لا يريدون أن يظهروا بالعيب الذي يدعون إليه .

إنهم يدركون أن العامية عيب فظيع يقلل من قيمة الكاتب ، لهذا لم يتخذوها لغتهم ، مع أنهم أحق باستعمال ما دعوا إليه .

وما العامية لغة العامة الخارجة على قوانين الفصحى وحسب بل من العامية ما يكتب في بعض صحفنا أو أكثرها ، لأنه خارج على قوانين الفصحى وأساليبها .

فالعامية عيب ونقص يتنزه عنهما الكاملون ، ولا يرغب فيهما من يريده لنفسه .

ودعاة العامية من أولئك المقتدرين ينزهون أنفسهم من العيب ، ويريدون غيرهم أن يكون غريقاً فيه ، وإحساسهم وإدراكهم لهذا العيب جعلاهم يأبونه لأنفسهم .

وجاء كتابنا الصحفيون – إلا النادر – وظهروا بهذا العيب وباهوا بعوراتهم ، لأنهم مجردون من إحساس دعاة العامية .

وأنا لا أبيح استعمال العامية مثل ذوي الغيرة على لغتنا

الفصحى العظيمة ، بل أحاربها ، وما أنا حرب عليها الآن ، بل أنا خصمها منذ عرفت الكتابة قبل أربعين عاماً ، أسوة بسيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وعمـــر بن الخطاب رضي الله عنه وبالأئمة والفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء الاعلام.

إن العامية ليست لغة القرآن والسنة والأدب والعلم في العربية ، فعلينا أن نتجنبها ، ونحارب دعاتها ومروجيها ، لأنهم يدعون إلى لغة دعا إليها أعداء الاسلام والعرب طمعاً في القضاء على كتاب الله وحديث رسوله ، ولأنهم يروجون للغة يريدون من الترويج لها ومن استعمالها إحلالها محل لغة كتاب الله .

ومن يؤثر على لغة كتاب الله ولسان رسوله صلى الله عليه وسلم لغة سواها وإن كانت العامية فهو آثم وعلى ضلال مبين .

ثم تناول الدعوة من أولئك الأعداء عرب كلهم غير مسلمين إلا النادر ، منهم من ذكرنا فيما مضى من هذه الصفحات وعلى رأسهم سلامة موسى القبطي الصليبي المتضرم حقداً وعداوة للاسلام كله والقرآن ، سلامة موسى الذي أعلن الحرب على الفصحى ، ودعا إلى العامية وكل ما دعا اليه سادته الأوروبيون إلى أن هلك .

يقول سلامة موسى في عدد « الهلال » الصادر سنة ١٩٢٧ :

« التأفف من اللغة الفصحى التي نكتب بها ليس حديثاً ، إذ هو يرجع إلى ما قبل ثلاثين سنة حين نعى قاسم أمين على اللغة الفصحى صعوبتها ... وقد اقترح أن يلغى الاعراب فتسكن أواخر الكلمات كما يفعل الأتراك ، وقام على أثره منشيء الوطنية المصرية الحديثة أحمد لطفي السيد فأشار باستعمال العامية أي لغة العامة ، ولكن هؤلاء العامة الذين انتصر للغتهم كانوا من سوء القدر لأنفسهم بحيث تألبوا عليه وجازوه جزاء لا يأتي إلا من العامة الذين لا يدرون مصالحهم ، وفي العام الماضي حدثت في سوريا مثل هذه الحركة فألف فاضل رسالتين دعا فيهما إلى اصطناع العامية السورية بدلاً من اللغة الفصحى ، واستند في دعوته إلى أن اللغة العامية أوفى تعبيراً وأدق معاني وأحلى ألفاظاً من اللغة الفصحى ، وأنها لذلك يجب إيثارها على اللغة الفصحى ؛ وقد هبت الصحف السورية والفلسطينية حتى العراقية تقبح رأيه ، وتنسبه إلى ضعف الحمية الوطنية ، مع أن المنطق أحرى بأن ينسبه إلى قوة هذه الحمية التي غلبته حتى أخرجته من شيوعية القومية العربية حتى حصرته في حدود الوطنية السورية » .

في هذه الجملة اتهام فظيع للفصحى ، فهي عند أعدائها أدنى مرتبة من العامية ، والعامية أشرف منها ، لأنها « أوفى تعبيراً ، وأدق معاني ، وأحلى ألفاظاً من الفصحى » .

وهذا افتراء ، فما كانت العامية أوفى من الفصحى ، بل هي عيية وبكماء ، وقد تحديت سلامة موسى نفسه ، وطلبت أن يكتب لنا بالعامية الأوفى من الفصحى مقالاً علمياً ، بل طلبت إليه أن يكتب آخر مقال علمي كان قد نشره في « أخبار اليوم » بالعامية ، فعجز .

وليس في الأرض دعوى باطلة يهدمها صاحبها قبل غيره مثل دعوى سلامة موسى ، فهو يحارب الفصحى ويتهمها ويعني من قدر العامية ، ومع هذا لم يكتب قط بالعامية ، وهذا أقوى دليل على أن العامية لا تصلح لأن تكون لغة كتابة وأدب وعلم .

وقد ذكر سلامة موسى أن العامة لم يرضوا بدعوة أحمد لطفي السيد ، فتألبوا عليه ، وهذا برهان على أن العامة أدركوا خطر الدعوة إلى العامية وترك الفصحى فحاربوا دعاة العامية وهم عامة .

والاستعمار الغربي قام بالدعوة في مصر ، وحملها سبيتا وفولرس وويلكوكس والقاضي البريطاني سلدن ولمور وكان قاضياً بإحدى المحاكم الأجنبية بمصر ، وسلامة موسى وقاسم أمين وأحمد لطفي السيد ويعقوب صروف ومجلة المقتطف ومجلة الهلال .

وبث الاستعمار دعاة العامية في سوريا ولبنان والعراق ،

ولكن العرب عامتهم قبل خاصتهم حاربوا الدعوة إلى العامية ودعاتها ولم تثمر دعوتهم إلا المزيد من السيادة للفصحى والانتشار .

وأفصح سلامة موسى عن دوافعه إلى الدعوة إلى العامية. وظهر أن حقده على دين الله الحق : الاسلام هو الدافع ولا شيء غيره ، فقد حارب الفصحى ، لأنها لغة القرآن . ولأنها « الجامعة » التي تجمع كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فدعا إلى العامية باسم الوطنية ، فدعا إلى عامية مصرية ،مثل دعوى ذاك السوري إلى العامية السورية ودعوى سعيد عقل إلى العامية اللبنانية .

وأخفقت دعواتهم أي اخفاق ، ولكنهم لم ييأسوا ، فهلك من الدعاة من هلك وهم يرون الفصحى لغة القرآن تسود ، والعامية تنهزم .

ويذهب سلامة موسى مع وليم ولكوكس إلى أن اللغة الفصحى تقتل ملكة الابتكار لدى من يقرأ بها ، وفي مقال لسلامة موسى بعنوان « اللغة الفصحى واللغة العامية ورأي السير ولكوكس » نشر بعدد الهلال الصادر سنة ١٩٢٧ م (١٣٤٥ هـ) جاء فيه قول ولكوكس الذي استشهد به سلامة موسى وأيده :

« يسهل علينا أن نرى الأثر المخدر تحدثه الألفاظ

الرنانة التي لا نفهم منها لفظة واحدة في نفس السامع ، وسماع مثل هذه الألفاظ يقتل في الذهن كل ابتكار ».

ويقول عن اللغة الفصحى إنها « تمنع العلماء في هذه البلاد من التفكير الحر » .

وبطلان هذه الدعوى في غير حاجة إلى دليل ، فإذا كانت اللغة للفصحى التي لا يتكلمها في مصر إلا مئات أو بضعة آلاف منعت العلماء من التفكير الحر وقتلت في الذهن كل ابتكار فلماذا لم تحمل العامية الناطقين بها وهم ملايين أن يفكروا تفكيراً حراً ويبتكروا ؟

ويظن سلامة موسى أنه سيقضي على اللغة الفصحى بدعاواه عندما يقول :

« إن هذه العامية التي نتكلمها في مصر ليست لها علاقة بالعربية الفصحى ، فكل منهما لغة متميزة عن الأخرى ، ونحن لم نكتسبها عن العرب ، وإنما نزلت إلينا من الهكسوس الذين أقاموا في مصر نحو ٥٠٠ سنة ، وان طريقة النفي المزدوج حين نقول : « أنا ما عملتش » هي طريقة لا يعرفها العرب ، وإنما جاءتنا من الهكسوس » .

هذا دليل سلامة موسى القوي الذي يحسب أنه يهدم به اللغة الفصحى ، وجهل أن العامية المصرية بل كل عامية من عاميات البلدان العربية هي الفصحى بعد تجريدها من قواعدها

وقوانينها اللغوية ، فآلاف الكلمات العربية من الفصحى ، وبعضها مترجم ، وبعضها معرب .

أما ما ظنه سلامة موسى « النفي المزدوج » فوهم يبدده واقع ما استشهد به ، فهو يظن أن الشين أدة نفي مع ما النافية ، واجتماع أداتي النفي جعله عنده نفياً مزدوجاً .

والواقع ليس هنا نفي مزدوج ، وإنما نفي واحد ليس غيره على الاطلاق .

فأصل « أنا ما عملتش » هو « أنا ما عملت شيئاً » وفي العامية : أنا ما عملت شي ، فاقتطعت العامية المصرية « الشين » من شي » فصارت : أنا ما عملتش ، فالشين ليست أداة النفي ، وإنما أداة النفي «ما» في أول الجملة .

ويحاول سلامة موسى وأعداء الفصحى أن يهدموها ، حتى أفصح سلامة موسى عن الدافع الصحيح له إلى حرب الفصحى إذ قال في كتابه « مختارات » :

« إن جامعة الدين التي تربطنا بالفرس ليس لها قيمة كبرى ، فليست هي الآن وسيلة اتصال بيننا وبينهم » .

ويقول في كتابه « اليوم والغد » :

« الرابطة الشرقية سخافة ، والرابطة الدينية وقاحة ، والرابطة الحقيقية هي رابطتنا بأوروبا » .

وها هي ذي الحقيقة قد وضحت ، فهو حانق على الدين الاسلامي الذي حاول أن ينفي عنه جمعه للمسلمين ، وهذا خيال إلى جانب أنه وهم ينفيه الواقع .

لقد وضحت الحقيقة ، فالمقصود من محاربة الفصحى محاربة القرآن الكريم ، لأن هدم الفصحى بإحلال العامية محلها هدم للقرآن نفسه ، وهدم للاسلام معه ، وتصل السفالة والحنق والحقد على دين الاسلام إلى أن يزعم أن « الرابطة الدينية وقاحة » وهذه وقاحة سلامة موسى وكفره .

ومن نقمته على الاسلام الذي ظهر في مكة وانتشر في العالم نقم على بلاد العربية ومصر في طليعتها وزعم أن الرابطة الحقيقية هي رابطته بأوروبا .

ويدعي سلامة موسى أن الرابطة هي اللغة ، ونحن نسأل : هل رابطتنا بأوربا التي يدعو إليها رابطة لغوية ؟! قصد سلامة وأمثاله من الدعوة إلى العامية وإحلالها محل الفصحى هدم القرآن الذي يتم بهدمه هدم الاسلام والأخلاق وكل القيم الانسانية الرفيعة .

وهدم القرآن مستحيل ، لأن الله حافظه ، وهدم الفصحى مستحيل ، لأن القرآن والحديث يحفظانها ، ولأن أهل الغيرة يذودون عن حماها ويحاربون كل دعاتها والمروجين لها ، ويحفظونها .

ومن حفظ الفصحى أن نحارب العامية ، وألا ندع لها سبيلا إلى الصحف والكتب والإذاعة والتلفزيون .

وقلَّ في كثير من محاط الإذاعة والتلفزيون العربية في هذه الأيام اتخاذ العامية إذا استثنينا الأغاني وبعض التمثيليات والمسرحيات .

أما عندنا فقد استأسدت العامية ، وهذا نذير شر ، فأكثر الأغاني عامية ور كيكة وسخيفة .

وسؤالك عن اتخاذ العامية التي كثر استعمالها في الإذاعة والتلفزيون في البرامج العامة والمسرحيات والتمثيليات ، وقولك : ألا يكون المردود البطيء — من هذا الاستعمال — شراً على اللغة الفصحى ؟ وما مدى هذا التأثير ؟ وكيف يمكننا القضاء عليه ؟

ولقد أطلت في الجواب لأن الموضوع خطير ، ولأن ما ينجم عن هذا الاستعمال خطر على الذوق والفهم والعقيدة والخلق وخطر على الروح الاسلامية والعربية .

نعم ، إن هذا « المردود » شر مستطير على لغة القرآن ، فهو سيغتصب نصيب الفصحى ، ويحتل مساحات من أرضها لتفسد فيه هذه العامية .

واتخاذ العامية لغة الفن والأدب بدل الفصحى حرب

للفصحى ، وحرب للقرآن والحديث لأنها لغتهما الشريفة المقدسة بقداستهما .

والعامية — متى استُبدلت بالفصحى — تفسد الذوق والشعور والخلق ، وتقلل الشعور بمكانة الفصحى ، وتباعد بيننا وبين القرآن ، وتجعل اللسان معوجاً .

وإذا كان أحد الصحابة قد لحن بحضرة سيد الفصحى وإمامها الاعظم الفاذّ الفريد محمد صلى الله عليه وسلم وقال لصحابته الكرام : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » فإن المفهوم من هذه الحادثة غيرة الرسول الكريم على لغة القرآن ، وعدم رضاه باللحن حتى سماه ضلالاً ، وسمى تصحيح الخطأ إرشاداً .

وتسلم الصحابي العربي سيدنا عمر بن الخطاب رسالة من سيدنا أبي موسى الأشعري العربي مبدوءة بكلمة « من أبو موسى » الخ . فغضب من هذا الخطأ . كيف يقول : من أبو موسى ؟ والقاعدة جر « أبي » لأنها مسبوقة بحرف الجر .

ومعروف أنه لم تكن في عهد عمر رضي الله عنه قواعد نحوية ، ولكنه أدرك بالسليقة اللحن ، مع أن هناك من القبائل العربية من يلزم الأسماء الخمسة حالة واحدة ، فيجوز أن يقال : من أبو موسى .

ولكن صحيح الاعراب جر الاسماء الخمسة إذا سبقها حرف جر أو كانت مضافة .

وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما أمراً قال له فيه : « قنع كاتبك سوطاً » والتقنيع : الضرب بالسوط .

فإذا سمى الرسول صلى الله عليه وسلم اللحن ضلالاً وتصحيحه إرشاداً وأمر عمر رضي الله عنه بتأديب اللاحن تقنيعاً بالسوط فإن من العدل تأديب من يتخذون اللغة العامية بدل الفصحى السجن والضرب .

ولكن الصحف والإذاعة والتلفزيون تعطي اللاحنين ومتخذي اللغة العامية مالاً طائلاً وثواباً وشكراً تلقاء خطيئاتهم.

والقضاء على العامية ليس صعباً ، ولو كان في يدي سلطان لأمرت ألا ينشر في الصحف ولا في الاذاعة ولا في التلفزيون ما يكتب بالعامية ، ولمنعت كل صحيفة أو كتاب بالعامية من دخول المملكة العربية السعودية موطن الفصحى ، ولدعوت إلى مؤتمر إعلامي وطلبت منع نشر العامية حتى نطهر كل وسائل الإعلام العربي من اللغة

العامية التي أراد لها أعداء الفصحى أعداء كتاب الله وسنة رسوله والإسلام أن تسود .

ولئن لم يكن لي سلطان رسمي فإن لي سلطاناً أدبياً قاهراً بإذن الله تعالى ، واني متخذ سلطاني هذا لمحاربة العامية ودعاتها ومروجيها حتى يكتب للغة الفصحى النصر المبين بمشيئة الله .

أما الدعوة إلى إلغاء الاعراب فهي من دعوات هدم الفصحى ، حتى تكون مثل العامية ، وعندئذ تذوب الفصحى في العامية .

والإعراب في الفصحى ضرورة لا يمكن أن تكون الفصحى فصحى إلا به ، وإلغاؤه بتسكين أواخر الكلمات يطيل زمن النطق بالجملة ، فنحن عندما نقول : الإسلام دين الله الذي اختاره لعباده ، ونقرؤها قراءة فصيحة لا تستغرق إلا ثواني معدودات ، ولا نفقد موسيقى الجملة وترابطها وتساوقها ، فإذا ألغينا الإعراب بتسكين أواخر الكلمات طال زمن النطق بها ، وصارت كل كلمة مقطوعة عن السابقة واللاحقة ، لأن السكون قطع وإفراد للكلمة ، فتنقطع السلسلة وتصير كل حلقة فيها وحيدة مقطوعة لا ترتبط بغيرها .

ثم إن إلغاء الاعراب بتسكين أواخر الكلمات يلغي قواعد الشعر والنظم ، ويقضي على الوزن وموسيقى النظم .

وإلغاء الإعراب يفقد القرآن جمال الأسلوب ووثاقة التركيب واتساق الكلمات وانتظامها في سمط البيان .

بل إن إلغاء الإعراب يفقد الفصحى حقيقتها العظمى ، وتفقد كل أسباب قوتها وجمالها وتركيبها وفصاحتها .

ولا يمكن أن تكون الفصحى فصحى إلا بالإعراب ، فإذا ألغي الإعراب ماتت الفصحى ، وهذا ما قصده دعاة إلغاء الإعراب .

وكل وسائل الإعلام من صحافة واذاعة وتلفزيون تروج للعامية ، وتستخف بالفصحى وقواعدها دون أن تجرؤ على الاستخفاف بلغات أعدائنا .

وإذا استمرت وسائل الإعلام على هذه الحال فإن كارثة فظيعة تنتظر الفصحى ، فكتاب الصحف والمتحدثون في الإذاعة والتلفزيون لا يحسنون العربية – إلا من ندر منهم – وغلطاتهم لا تحصى لكثرتها ؛ حتى القرآن الكريم والحديث الشريف يخطئون فيهما خطأ مبيناً وفاحشاً .

وهذا ما يدعوني إلى أن أقول : إن كارثة فظيعة تنتظر

الفصحى على أيدي وسائل الإعلام إذا لم تعد إلى الحق فتعتصم بالصواب ، لأن ذلك حق الفصحى عليها ، ولعلها تؤديه أداء وافياً .

* * *

وكل ما سألت عنه قد أجبت عليه في كتابي « الزحف على لغة القرآن » المطبوع ببيروت سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥م).

يطلب هذا الكتاب

من

دار العلم للملايين — بيروت

دار ثقيف للنشر والتأليف — الطائف

دار الشروق — جدة



